

نموذج الحاكم العادل

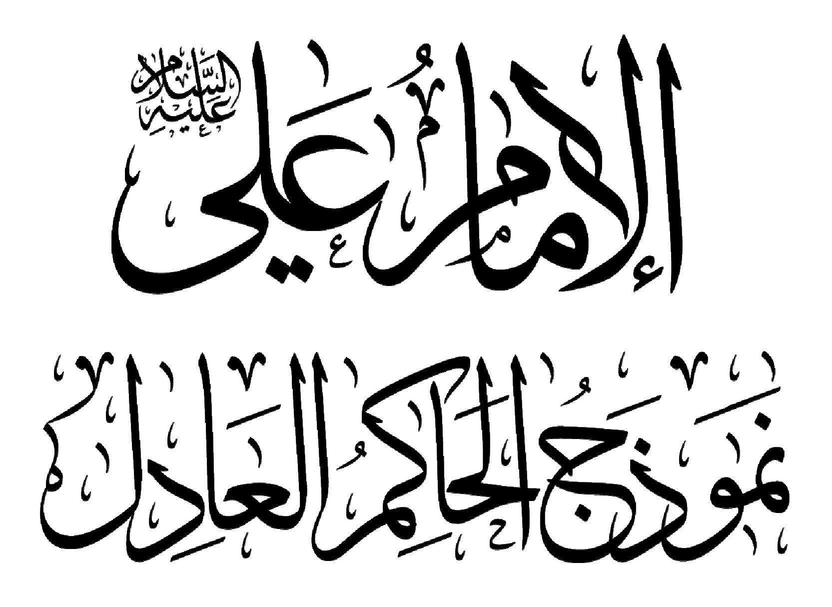
هوية الكتاب

اسم الكتاب:.............الإمام علي عليه السلام نموذج الحاكم العادل

إعداد:..............................السيد حسين الموسوي الساري

ترجمة ونشر:..........................دار الولاية للثقافة والإعلام

الطبعة:..الأولى، ١٤٣٢هـ.ق

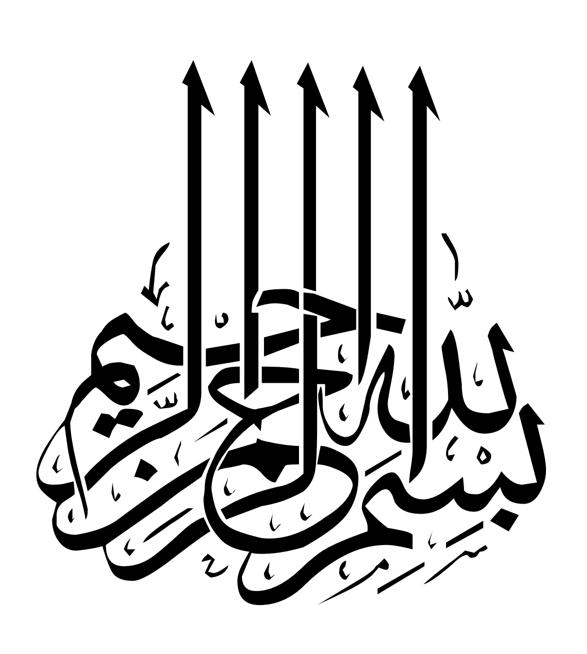


في كلمات قائد الثورة الإسلامية

سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي دام ظله

إعداد

السيد حسين الموسوي الساري


بسم الله الرحمن الرحيم

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا أَميرَ الْمُؤْمنينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا إمامَ المُتَّقينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا سَيِّدَ الْوَصِيِّينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وَصيَّ رَسُول رَبِّ الْعالَمينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارثَ علْمِ الأَوَّلينَ وَالآخرينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبَأُ الْعَظيمُ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الصِّراطُ الْمُسْتَقيمُ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُهَذَّبُ الْكَريمُ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْوَصيُّ التَّقيُّ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّضيُّ الزَّكيُّ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْبَدْرُ الْمُضيءُ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الصِّديقُ الأَكْبَرُ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْفارُوقُ الْأَعْظَمُ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا السِّراجُ الْمُنيرُ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا إمامَ الْهُدى، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا عَلَمَ التُّقى، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا حُجَّةَ اللّٰه الْكُبْرى، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا خاصَّةَ اللّٰه وَخالصَتَهُ، وَأَمينَ اللّٰه وَصَفْوَتَهُ، وَبابَ اللّٰه وَحُجَّتَهُ، وَمَعْدنَ حُكْمِ اللّٰه وَسرِّه، وَعَيْبَةَ عِلْمِ اللّٰه وَخازنَهُ، وَسَفيرَ اللّٰه في خَلْقه.

الإهداء

إلى حجة الرحمن

وزين الإيمان

وإمام الإنس والجان

إلى يعسوب الدين

وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين

أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام

تعريف بالكتاب:

بين يديك عزيزي القارئ مختارات من كلمات سماحة ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد علي الخامنئي دام ظله حول إمام المتقين ومولى الموحدين وقائد الغرّ المحجّلين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

المقدمة

إنَّ حياة أمير المؤمنين عليه السلام، تمثّل حياة مسلم كامل، وإنسان من الطراز العالي، فهو المثل الأعلى، الذي قضى مراحل حياته ـ طفولته وصباه ـ في كنف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتحت رعايته، بل ترعرع في أحضان النبي، وتربَّى بتربيته.

فقد كان عليه السلام متّبعاً الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عهد صباه وشبابه، من حين ما بدأت البعثة وما رافقتها من حوادث جسيمة جرت على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حيث شهد عليه السلام جميع تلك الحوادث، بما فيها من مواجهات ومخاطر شهدتها فترة بداية البعثة النبوية ـ منذ اليوم الأول للبعثة وحتى اليوم الذي أعلنت فيه الرسالة ـ .

إنَّ أمير المؤمنين هو الذي يقول: «**لقد كنت اتبعه اتّباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به**»[(١)].

لقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يربّي هذه الشخصية المرموقة والملكوتيّة ويُعدّها، حيث يقول عليه السلام: «**ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرّسالة وأشمّ ريحَ النّبوة**» حينذاك بدأت البعثة، وما تلتها من حوادث ومواجهات؛ وذلك عندما اُخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون من مكّة، واُجبروا على اللجوء إلى شعب أبي طالب ـ الوادي الذي كان تابعاً لأبي طالب عليه السلام، وهو مكان ليس فيه ماء وكلأ ـ وقد كان عمر أمير المؤمنين عليه السلام حينها سبعة عشر عاماً، فقد دخل إلى شعب أبي طالب وعمره الشريف سبعة عشر عاماً، وقد أصبح له من العمر عشرون سنة، حينما خرج منه بتلك الطريقة الاعجازية.

---

(١) بحار الأنوار، ج: ١٤، ص: ٤٧٥.

وعندما ذهب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف، علّه يحصل على موطئ قدم فيها ـ حيث بقي عشرة أيام هناك ـ كان أمير المؤمنين عليه السلام في رفقته، وعندما علم سادة وكبار الطائف أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد قدم للطائف، قاموا بحثّ الغلمان والعبيد والسَوَقة من الناس لرمي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالحجارة، وعندما فعلوا ذلك، أخذ أمير المؤمنين عليه السلام يدافع عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويذب الأذى عنه.

وفي تلك الليلة التي جاء فيها ـ لأول مرَّة ـ مجموعة من كبار ووجهاء أهل المدينة إلى منزل عبد المطلب القديم بخفية؛ من أجل البيعة، وجلسوا إلى جنب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما أن علم بذلك كفار قريش إلا وجاءوا إلى البيت وقاموا بمحاصرته واستعدوا للهجوم عليه؛ لم يأتِ للدفاع عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلا أمير المؤمنين، والحمزة بن عبد المطلب عليهما السلام.

إنَّ هذا الشاب ـ المؤمن الحقيقي، المتّقي، الطاهر، الكامل، والنوراني المتصل بمنبع الوحي ـ نذر شبابه خلال الثلاثة عشر عاماً التي رافق بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكل وجوده للرسالة والرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمكة، وقد أخذ على عاتقه ـ أيضاً ـ أصعب الوظائف أثناء هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ أي حمل النساء (الفواطم) وإرجاع الأمانات التي كانت مودعة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمَّ التحق بقبا والمدينة.

إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان في المدينة قائداً ومؤمناً، وتلميذاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وعابداً من الطراز الأول، من بين المسلمين كافة.

إنَّ العيون معلَّقةٌ به، في ساحة الحرب، كما أنَّ أنوار وجوده المبارك في المسجد، وفي حالة العبادة، تسيطر على جميع القلوب، وهو الأكثر قبولاً، وعلماً، وسؤالاً دون سواه عند منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد جاء في إحدى الروايات، أنَّه سُئل عليه السلام: لماذا تروي كثيراً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: إنَّني أسأل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فيجيبني، وعندما لا أسأله يبادرني بالسؤال.

بناءً على ذلك، فإنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يعتبر أفضل تلامذة رسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد أمضى

مع الرسول ﷺ عشرة أعوام ـ أيضاً ـ بكلّ محنها وصعوباتها، وحلوها ومرّها.

وبعد وفاة الرسول ﷺ، بدأت حوادث السقيفة ومسألة الخلافة.

حسناً، من المعلوم أنَّ الحقّ كان مع أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يعلم أنَّ الحقّ معه، إلا أنَّه لم يصدر منه شيء يعيق البيعة، بل قبلها عندما تمَّت، وإن كان أُجبر على ذلك؛ لأنَّه لم يرغب أن يكون حائلاً بين الناس وبين البيعة، الأمر الذي يودّي إلى حدوث فتنة فيما بينهم؛ لذلك فإنَّه اجتنب هذه الأمور، وأوّل عمل قام به، أنَّه اعتزل الناس؛ أي أنَّه لم يُسبب أيّ متاعب للأشخاص الذين استلموا السلطة.

ثمَّ أنَّه شعر بعد فترة قصيرة أنّ المجتمع الإسلامي بحاجة إليه، حيث كان يقول: «**حتّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يريدون محو دين محمّد ﷺ**»[1]، عندها دخل الميدان، وأخذ بتقديم العون والمشاركة، ومساعدة الأشخاص الذين تولّوا إدارة المجتمع، فكان يهديهم ويرشدهم في المواضع التي يخطأون، أو ينحرفون فيها، سواء كان ذلك في المجال العلمي أو السياسي، بل في جميع المجالات، وهذا ما يعترف به الجميع، وليس نحن الشيعة فقط.

فإنَّ كتب الروايات والتاريخ الإسلامي التابعة للشيعة والسنّة مليئة بالأخبار التي تتحدث عن الإرشادات والتوجيهات التي كان يقدَّمها أمير المؤمنين عليه السلام لهؤلاء، ومنها هذا الكلام: «**لولا علي لهلك عمر**»[2]، الذي رواه السنّة في مواطن مختلفة من كتبهم، بالإضافة إلى أنَّه روي من طرق الشيعة أيضاً، وكذلك ما قدّمه ذلك الرجل العظيم من إرشادات ومساعدات في مجال إعداد الجيوش، وإقامة الحدود، والأمور السياسية وغير ذلك، فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام هو المرشد الكامل، ومركز الإشعاع في المجتمع الإسلامي.

---

(١) بحار الأنوار، ج: ٢٨، ص: ١٨٧.

(٢) فتح الباري، ج: ١٥، ص: ١٣١.

فإنَّ الخمسة والعشرين عاماً التي عاشها معتزلاً، قد مرَّت بنفس الانطباع الذي تحملونه عنه أيضاً.

وعندما جاء دور الخلافة، أظهر حينذاك أمير المؤمنين عليه السلام معجزته في الإدارة والحكومة على مرِّ التاريخ، فإنَّ الأربعة أعوام والتسعة، أو العشرة أشهر التي حكَم فيها أمير المؤمنين عليه السلام، تعتبر معجزة في الحكومة، ولم يكن لها نظير، فقد كانت حكومة العدل المطلق والشجاعة المطلقة المشفوعة بالمظلوميّة المطلقة، على أنّ مثل هذا الوضع لم يحدث في زمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنَّ الخطوط والحدود كانت واضحة ومعلومة في زمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أمَّا في زمان أمير المؤمنين عليه السلام فقد كانت المشاكل معقدّة ومتشعّبة أكثر، فضلاً عمَّا حصل من توسّع في العالم الإسلامي، بعد أن كان الأمر مقتصراً على المدينة ومكّة وبعض المدن الأخرى.

لقد أصبح العالم الإسلامي في زمان أمير المؤمنين عليه السلام، بلاداً واسعة وعريضة، حيث أخذ النَّاس في الدخول إلى الإسلام جديداً، بالإضافة إلى أنَّ تخوم البلاد أخذت تشوبها الفوضى العقائدية، ومشاكل كثيرة من هذا القبيل، فإنَّ أمير المؤمنين عليه السلام تصدّى لمثل هذه الحكومة، التي تعتبر موضع افتخار جميع الحكومات المنصفة في العالم، التي تحاول أن تحصل ولو ببعض الشبه من حكومته، وهو ما لم ولن يتمكن منه أحد.

إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام هو مظهر العدالة، والقداسة، والإنصاف، والرحمة، والتدبير، والشجاعة، ورعاية حقوق الإنسان، والعبودية للباري تعالى، وهذا هو ملخّص حياة أمير المؤمنين عليه السلام[1].

---

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٩/ رمضان/١٤٢٧هـ.ق.

الفصل الأول

خصائص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ونهجه

شخصيته عليه السلام:

إنّ حياة أمير المؤمنين عليه السلام أشبه ما تكون بمحيط لا يتيسّر للمرء الإحاطة بكل آفاقه بنظرة واحدة أو حتى عبر دراسة طويلة؛ فالمحيط من حيثما تأتيه تجده زاخراً بالعظمة، تجده مجمع لبحور عميقة القعر، فيها كائنات مختلفة الأشكال والصور، وعجائب شتى، وإذا ما تركنا هذا الجانب ودخلنا المحيط من جانب آخر، فالكلام هو الكلام، حيث نرى آيات العظمة والمشاهد والصور المختلفة. وإذا وردناه من ضفة ثالثة أو رابعة أو خامسة أو عاشرة، فيأتي نفس الكلام أيضاً فنرى في كل جهة عجائب أخرى.

هذا طبعاً مجرد مثال مصغّر ولا يفي بالغرض عن شخصية أمير المؤمنين عليه السلام. ومن حيثما تنظر إلى هذه الشخصية تجدها تنطوي على عجائب جمّة، ولا مبالغة في هذا، بل هو انعكاس لعجز إنسان دَرَسَ حياة أمير المؤمنين سنوات متمادية واستشعر هذا الإحساس في نفسه، وأدرك أنّ شخصية علي عليه السلام لا يمكن سبر أغوارها بأسباب الفهم المتعارف من ذهن وعقل وحفظ وإدراكات عادية؛ لأنّ كل جانب من جوانبها زاخر بالعجائب.

طبعاً أمير المؤمنين عليه السلام نسخة مصغّرة عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتلميذ له، ولكن إذا شئنا النظر إلى هذا الرجل ـ الذي يَعتَبِر نفسه صغيراً أمام الرسول، وهو تلميذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالمنظار البشري، يبدو لنا رجلاً فوق النمط البشري وفوق المستوى الإنساني.

ونحن غير قادرين على تصور إنسان بمثل هذه الآفاق العظيمة؛ لأنّ أسباب الفَهْم المتوفّرة لدى الإنسان من عقل وذهن وإدراك ـ ولا أقول عدسة التصوير التلفزيوني فهي أخس من ذلك والعقل البشري أسمى من هذه الوسائل المادية ـ هي أدنى من أن تبيّن ماهية أمير المؤمنين عليه السلام لمن لم يبلغ مقام الكشف المعنوي.

طبعاً هناك من لهم حضور معنوي وشهود روحي لعلّهُ يؤهلهم لإدراك كنه تلك

الشخصية، إلاّ أنّ أمثالنا عاجزون عن ذلك.

تضاد الصفات في شخصيته عليه السلام

أشير إلى خصلة اتصّفت بها حياة أمير المؤمنين عليه السلام أعبر عنها بتوازن شخصيته.

كان أمير المؤمنين عليه السلام أعجوبة في اتزانه الشخصي، صفات متضادّة ومتخالفة قد اجتمعت في شخصيته بشكل جميل، حتى أضحت بذاتها وجوداً جميلاً، لا يجد الإنسان مثل هذه الصفات قد اجتمعت في أحد، لكنها قد اجتمعت في أمير المؤمنين عليه السلام بكثرة واسعة، أعرض في ما يلي بعض هذه الصفات المتضادة التي اجتمعت في أمير المؤمنين.

هناك مثلاً الرأفة والرقة وهي لا تنسجم مع الحزم والصلابة، لكن عطف ورأفة ورِقّة أمير المؤمنين عليه السلام كان حقاً في ذراها الأعلى الذي قلّما يبلغه إنسان عادي، فالذين يساعدون المساكين ويتفقدون العوائل الفقيرة كثيرون، إلاّ أنّ الشخص الوحيد الذي كان يؤدي هذا العمل في عهد وفترة حكومته واقتداره وتسلطه ـ أولاً ـ ويكون هذا العمل دأبه على الدوام، ولم يكتف بأدائه مرتين أو ثلاث ثانياً، وثالثاً لم يكن يقتصر على تقديم العون المادّي فحسب، بل يذهب إلى هذه العائلة، ويتحدث مع هذا الشيخ، ويجلس مع هذا الضرير، ويلاطف هذا الصغير ويأنس بهم ويدخل البهجة إلى قلوبهم ويقدم لهم العون.

كم قد تجدون بين الناس شخصاً يتحلّى بمثل هذه الرأفة والرحمة، هكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام في رحمته ورأفته.

كان يذهب إلى دار أرملة ويوقد لها التنور ويخبز لها الخبز ويطعم أطفالها بيده المباركة، ولأجل أن يدخل الفرحة إلى قلوب هؤلاء الأطفال البائسين كان يلعب معهم وينحني ويحملهم على ظهره ويمشي بهم، ويداعبهم في كوخهم.

هذه الرأفة والرقة في شخصية أمير المؤمنين جعلت أحد الشخصيات الكبرى في

ذلك العصر يقول: طالما رأيت أمير المؤمنين ﷺ يطعم اليتامى العسل بإصبعه حتى لوددت أن أكون يتيماً.

وفي قضية النهروان حين عزم جماعة من المتعصبين، وذوو الفهم الخاطئ على زعزعة حكمه، لأسباب واهية، كان ينصحهم ويحاججهم ويرسل لهم الرسل والوساطات، ويقدم لهم العون، ولكن من غير جدوى، وفي نهاية المطاف ـ وحتى حينما اصطف الجيشان للقتال ـ قدم لهم النصيحة وأرشدهم، لكنه عندما لمس عدم جدوائية ذلك قرر انتهاج الحزم، فأعطى الراية لأحد أنصاره وقال: كل من انضوى تحت هذه الراية إلى الغد فهو آمن، أما البقية فلهم السيف.

كان عددهم اثنا عشر ألف فانضم ثمانية آلاف منهم تحت الراية، ومع ما كان يحمل هؤلاء من عَداء، ورغم موقفهم وعزمهم على القتال ولَهجهم بَسب أمير المؤمنين ﷺ إلاّ أنه تغاضى عن كل ذلك؛ فهم ما داموا قد اعتزلوا القتال فليذهبوا حيث شاءوا.

وبقي منهم أربعة آلاف أصرّوا على مقاتلته، فلما رأى إصرارهم على قتاله عزم على قتالهم، وأخبرهم أنه لن ينجو منهم عشرة، فحاربهم في واقعة النهروان المعروفة، وقُتل منهم عدد كبير.

هذا هو نفس علي حينما يرى في مقابله فئة خبيثة تسلك منهجاً غادراً.

ألاحظ ـ مع الأسف ـ عدم إعطاء صورة صحيحة عن الخوارج في المحاضرات وفي الأفلام وفي الأدب، إذ كثيراً ما يصفونهم بالتنسك المتحجّر، وهذا خطأ طبعاً، أي تنسّك هذا؟ في عهد أمير المؤمنين ﷺ كانت بعض الفئات تعمل لمصالحها الخاصّة، وإذا شئتم معرفة الخوارج اضرب لكم مثلاً من عصرنا الراهن.

أنتم تتذكرون فئة المنافقين؛ هؤلاء كانوا يقرأون آية من القرآن وخطبة من نهج البلاغة ثم يدّعون التديّن ويعتبرون أنفسهم أكثر إسلاماً وثورية من غيرهم، وهم يزرعون

القنابل فيقتلون الصغار والكبار ساعة الإفطار في شهر رمضان، أو يقضون على عائلة بأسرها، أو يقتلون جماعة من الأبرياء في إحدى ساحات المدينة، لا لسبب إلاّ لكونهم من أنصار الإمام والثورة.

ومن جملة جرائمهم الأخرى قتلهم شهيد المحراب، وهو رجل ورع ومجاهد في سبيل اللّه وقد تجاوز الثمانين من عمره، إضافة إلى قتلهم أربعة أو خمسة أشخاص آخرين من شهداء المحراب، الذين كانوا من الشخصيات العلمائية البارزة والفاضلة المؤمنة.

هكذا كان الخوارج وهذه فعالهم؛ قتلوا عبد اللّه بن الخباب وبقروا بطن زوجته وهي حامل وقتلوا جنينها؛ لأنهم كانوا من أشياع علي بن أبي طالب.

اعرفوا الخوارج جيداً؛ كانوا يتمسكون بظاهر الدين وببعض الآيات القرآنية ويحفظون القرآن وكل ما يستر ظاهرهم الديني، إذ كانوا في الظاهر يعتقدون ببعض جوانب الدين، إلاّ أنهم كانوا يعارضون جوهره وأساسه، ويتعصبون كثيراً لهذا الموقف.

يذكرون اللّه ولكنهم أداة مُنقادة بيد الشيطان، وعندما يستدعي الموقف يتعاونون مع أمريكا والصهاينة وصدّام أو أية جهة أخرى لمحاربة الثورة والإمام والحكومة الإسلامية، هكذا كان الخوارج أيضاً، وحينها تصدّى لهم أمير المؤمنين بكل حزم، هذا هو نفس علي **﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾**[(١)].

لاحظوا كيف تجسدت هذه الخاصية في أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الشكل الجميل، فقلبه بما أوتي من تلك الرأفة وتلك الرقّة لا يطيق رؤية يتيم في حالة حزينة، بينما نراه يقف تارة أخرى بصرامة إزاء فئة منحرفة تنتهج أسلوبا مقيتاً وملتوياً وتقتل الأبرياء فيقضي عليهم ـ وهم أربعة آلاف ـ في بضع ساعات «**ولا يفلت منهم عشرة**» في حين استشهد من أصحابه أقل من عشرة. ربما خمسة أو ستّة ـ هذا هو اتزان الشخصية.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

الحاكمية والورع عنده عليه السلام

المثال الآخر هو ورعه وحكومته.

الورع يعني: اجتناب كل ما يحتمل فيه الكراهية، ولكن كيف ينسجم هذا مع الحكومة ؟ هل يتسنّى للإنسان أن يكون ورعاً إلى هذا الحد وهو في الحكم؟.

فنحن الآن في الحكم نشعر بأهمية وجود مثل هذه الخصلة؛ لأنّ الإنسان وهو في الحكم يتعامل مع قضايا عامّة وينفّذ قوانين، ولكن قد يكون في هذا القانون ظلماً لإنسان في مكان ما، والشخص المكلف بتنفيذ القانون بشر أيضاً وقد يسيء تطبيق القانون.

فكيف يتأتى للمرء إلتزام الورع في كل هذه التفاصيل الجزئية التي تستعصي على الإحاطة بها؟ لهذا يبدو في الظاهر أنّ الحكومة والورع لا يجتمعان، إلاّ أنّ أمير المؤمنين جمع غاية الورع مع أقوى حكومة، وهذا مما يثير العجب.

لم يكن يجامل أحداً؛ فإذا استشعر من والٍ ضعفاً وأحسّ أنه لا يناسب هذا العمل، عزله، كان محمد بن أبي بكر بمثابة ابنه وكان يحبّه محبة أبنائه، وهو أيضاً كان ينظر إليه نظرة الولد للوالد.

كان محمد أصغر أبناء أبي بكر، وتلميذاً مخلصاً للإمام وقد تربّى في حجره، كان قد أرسله والياً على مصر، ثم كتب له في ما بعد كتاباً بعزله لعدم كفاءته في إدارة مصر، وعيّن بدله مالك الأشتر.

ومن الطبيعي أن يستاء محمد بن أبي بكر من ذلك، فالإنسان مهما كبر شأنه يستاء لمثل هذا، لكن أمير المؤمنين لم يعتنِ لذلك.

محمد بن أبي بكر مع ما له من شخصية جليلة، ومع ما لموقفه يوم الجمل وعند البيعة من أهمية؛ فهو ابن أبي بكر وأخو أم المؤمنين عائشة، وعلى الرغم من مكانته عند أمير المؤمنين، إلاّ أنه لم ينظر إلى استيائه وامتعاضه، هذا هو الورع الذي ينفع الإنسان وهو في الحكم، وقد تجسد منتهى هذا الورع في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد اجتمع ورع أمير المؤمنين عليه السلام مع حكمه القوي، وهذا ما لم نسمع به في العالم على مدى التاريخ.

الخلفاء الذين سبقوا علياً عليه السلام كان لهم حزم في الكثير من المواقف، ويقرأ الإنسان في سيرتهم أعمالاً استثنائية، إلاّ أنّ الفارق بين أمير المؤمنين ومن سبقه ومن تلاه حتى يومنا هذا فارق عجيب لا يمكن وصفه ومقارنته.

اجتماع القوة والمظلومية فيه عليه السلام

المثال الآخر هو قوّته ومظلوميته، هل كان ثمة رجل في عصره أقوى منه، أو له مثل تلك القوة الحيدرية؟ لم يتحدّ علياً أحد، ولم يجرأ أحد على ادعاء ذلك حتى آخر حياته، نفس هذا الإنسان كان أكبر أهل زمانه مظلومية والأكثر ظلامة منهم ـ بل ويقال، وهو قول صحيح ـ لعله أكبر إنسان ظُلم في تاريخ الإسلام.

إنّ القوة والمظلومية شيئان لا يجتمعان؛ فالمتعارف أنّ الأقوياء لا يُظلمون، غير أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ظُلم.

زهده عليه السلام

المثال الآخر هو، الزهد والإعمار، فأمير المؤمنين عليه السلام كان مثالاً في زهده وإعراضه عن الدنيا، ولعل أبرز ـ أو أحد أبرز ـ مواضيع نهج البلاغة هو الزهد، وهو في نفس الحال كان طوال فترة الخمس وعشرين سنة ـ بين وفاة الرسول وتسلّمه الخلافة ـ كان ينفق من ماله الخاص في أعمال العمران، فكان يزرع البساتين والمزارع، ويحفر الآبار، ويشقّ الأنهار، والمدهش أنه كان يتصدّق بكل ذلك في سبيل اللّه.

لا بأس أن نعلم بأنّ أمير المؤمنين كان أكثر الناس عائدات في عصره، وقد نقل عنه

أنه قال: إنّ صدقتي لو وزع على بني هاشم لوسعهم، لكن هذا الإنسان الثري كان يعيش حياة فقيرة على أشد ما يكون من الفقر؛ لأنه كان ينفق كل تلك الثروة في سبيل اللّه.

يروي أحدهم أنه رأى علياً يحفر بئراً بيده، ثم يقول: رأيت الماء قد تدفّق منها كأوداج الجمل، خرج أمير المؤمنين عليه السلام من البئر وهو ملطخ بالطين، وجلس عند حافّة البئر ودعا بورق وكتب فيه بأنّ هذا البئر أوقفه علي بن أبي طالب على أشخاص ذكرهم.

إنّ ما يلاحظ في عهد حكومة أمير المؤمنين عليه السلام إنما هو امتداد لحياته ومسيرته الخاصّة، فمن الطبيعي أن الزهد بالدنيا لا يتنافى مع بنائها الذي جعله اللّه واجباً على الجميع، فأمر بإعمار الدنيا، وتكوين الثروات، ولكن بشرط أن لا يكون الإنسان عبداً لها أو يجعل نفسه طوع أمرها، من أجل أن يكون قادراً على الإنفاق في سبيل اللّه بكل سهولة.

هذا هو التوازن الإسلامي والأمثلة من هذا الطراز كثيرة، ولو أردت ذكر أمثلة لها لاستغرقت وقتاً طويلاً.

استغفاره عليه السلام

من الخصائص الأخرى لدى أمير المؤمنين عليه السلام هو الاستغفار؛ إذ كان للدعاء والتوبة والإنابة والاستغفار حيّز واسع في حياة أمير المؤمنين، فهو عليه السلام كان يقاتل ويعبئ الجيوش، ويُدير شؤون دولة كانت تعتبر من أكبر الدول يومذاك، وقد حكمها مدّة تناهز الخمس سنوات ـ فالدولة التي حكمها كانت تضم حوالي عشرة بلدان ـ وهذا السلطان الواسع بكل ما يستلزمه من جهود ومساعٍ كان أمير المؤمنين يديره بكل جدارة، إضافة إلى ميادين الحرب وإدارة الشؤون الاجتماعية للمسلمين، والقضاء بين الناس والمحافظة على حقوق أبناء المجتمع، كانت أعمالاً كبرى ومهمة وتتطلب عملاً ومثابرة، وتستحوذ على وقت الإنسان برمّته، وفي مثل هذه المواقف يقول الإنسان المحدود ببعد واحد: إنّ

دعائي وعبادتي هو هذا، فأنا أعمل في سبيل اللّه لكن أمير المؤمنين لم يقل هذا، بل كان يؤدي تلك الأعمال، ويَعْبُد أيضاً.

جاء في بعض الأخبار ـ وإن لم أكُن قد دققت في مدى صحتها ـ أنه عليه السلام كان يصلي أحياناً في اليوم والليلة ألف ركعة، وهذه الأدعية التي تسمعونها هي أدعية أمير المؤمنين عليه السلام، فهو قد بدأ الدعاء والتضرع والإنابة منذ أيام شبابه، كان حينها في شغل متواصل.

وفي أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان شاباً ثورياً وله حضور في جميع الميادين، أي أنه كان في حالة عمل دؤوب، ليس لديه وقت فراغ، حتى في مثل تلك الظروف حين تَساءل جماعة من القوم عن أكثر الناس عبادة قال أبو الدرداء: علي أكثر الناس عبادة.

قالوا: كيف؟ فذكر لهم مثلاً على ذلك وأقنعهم، كان حينها شاباً يبلغ من العمر نيفاً وعشرين سنة، وهكذا كان دأبه في الفترة التي تلتها، وفي أيام خلافته.

هناك قصص متنوعة عن عبادة أمير المؤمنين مثل قصة نوف البكالي، وهذه الصحيفة العلوية التي جمعها عظماء العلماء تعكس الأدعية المأثورة عن أمير المؤمنين، وأحدها هو دعاء كميل الذي تقرأونه ليالي الجمعة(١).

ودعاء كميل(٢) دعاء عظيم، يبدأ بالاستغفار، ويقسم على اللّه بعشرة أشياء منها:

---

(١) دُعاء كُميل من الأدعية المشهورة والمعروفة جداً لدى أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، يحرصون على قراءته في كل ليلة جمعة، وفي ليلة النصف من شهر شعبان، تبعاً للروايات الواردة في فضله وأثره البالغ في تربية النفس، ولما يحتويه من المعاني الرفيعة، وهو كنزٌ من الكنوز الثمينة جداً، لأنه يزخر بالدروس العقائدية والتربوية، ويقوي في الإنسان المؤمن روح العبودية والتوجه إلى الله عَزَّ وجَلَّ. إنّه من أفضل الأدعية وهو دُعاء الخضر عليه السلام وقد علّمه أمير المؤمنين عليه السلام كميلاً، وهو من خواصّ أصحابه. وقد رواه الشّيخ الطوسي في كتاب مصباح المتهجّد.

(٢) هو كُميل بن زياد بن سُهيل بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان بن سعد بن مالك بن النخع، وُلِد باليمن سنة سبع قبل الهجرة، أسلم صغيراً و أدرك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل أنّه لم يره، ارتحل مع قبيلته إلى الكوفة في بدء انتشار الإسلام، كان من سادات قومه، وكانت له مكانة ومنزلة عظيمة عندهم، وكان رحمه الله من ثقات أمير المؤمنين علي بن

«**اللّهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء**»، ويسأله غفران خمسة ذنوب: «**اللّهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، اللّهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، اللّهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء و...الخ**». أي أنه يستغفر من أول الدعاء حتى آخره، وهذه هي السمة الأساسية في دعاء كميل[1].

أبي طالب عليه السلام وخواصِّه وعاملهُ على (هيت)، رَوَى عَنْ أمير المؤمنين عليه السلام أحاديث كثيرة أشهرها دعاء كميل الذي اشتُهر به، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي لحُبه ووِلائه لأمير المؤمنين عليه السلام، راجع: الإرشاد للمُفيد: ١ / ٣٢٧ .

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ٢١/ رمضان/ ١٤١٧هـ.ق.

التأسي به عليه السلام

إن أمير المؤمنين عليه السلام أسوة كاملة للجميع، فشبابه المتوثّب والمتفجّر بالحماس هو نموذج للشباب، وحكومته المتميزة بالعدل والقسط نموذج للحكّام، وحياته المشبعة بالجهاد والمسؤولية نموذج لجميع المؤمنين، وحريته نموذج لكافة أحرار العالم، وأقواله الحكيمة ودروسه الخالدة نموذج للعلماء والمفكرين والمثقفين.

إن أمير المؤمنين لم يألُ جهداً على امتداد عهد حكومته في إحقاق حقوق الضعفاء والمساكين والحفاة، فعلينا الاقتداء به؛ ولكنه كان متسامحاً في حقوقه، فعلينا التأسّي به أيضاً طوال حياتنا، حيث كان مظهراً للعبادة لله والإخلاص والجهاد والسعي والحيوية والنشاط، وكان يستقبل الأتراح والأحزان والآلام بصدر رحب؛ فأدّى واجبه بعناية، وهذه هي الأسوة الحسنة.

إننا نستطيع الاقتراب من آمالنا الكبرى وتحقيق مطامح بلادنا وشعبنا ونظام جمهوريتنا الإسلامية، أي العدالة الاجتماعية، في ظل الاقتراب من أمير المؤمنين عليه السلام[1].

الإمام عليه السلام مثل أعلى وقدوة

منذ قرون والعارفون ـ من المسلمين وغير المسلمين ـ بهذه الشخصيّة المقدّسة يتكلّمون ويكتبون حول أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أنّ ما قيل ليس كافياً في بيان جميع أبعاد شخصية هذه الأعجوبة والنموذج للقدرة الإلهية الكاملة والكلمة التامّة للّه.

وبديهي أنّنا سبب المشكلة غالباً، فنحن الذين لا يمكننا تصوّر هذه الشخصية

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٣/ ذي الحجة/ ١٤٢٠هـ ـ ق.

المعنوية والروحية لضعف أذهاننا واستئناسنا بالمقاييس المادّية والأناس العاديين، نعم بالإمكان رسم ملامح تلك الشخصية المعنوية العظيمة في الذهن ببركة أقوال من هم بمستوى أمير المؤمنين أو أعلى منه، وهو خاتم الأنبياء محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد وردت رواية من طرق غير شيعية أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال لجمع من أصحابه: «**من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى موسى في هيبته وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب**»[١].

أي أنّ علم آدم الذي ورد عنه في القرآن قوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾[٢]، وحلم إبراهيم الذي قال تعالى عنه في القرآن: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ**﴾[٣]، وهيبة موسى التي كانت سطوة فرعون وعظمته ضعيفة أمامه، وعبادة عيسى الذي كان مظهراً للزهد والإخلاص والتعبّد للّه، وفي بعض الروايات المنقولة من غير الشيعة أيضاً، أضيفت عبارة أخرى وهي: زهد يحيى بن زكريا، كلها جمعت في هذا الإنسان العظيم الذي نعتبر أنفسنا من شيعته.

وهذا الكلام يمكنه أن يوضح لنا ـ إلى حدٍّ ما ـ صورة عن شخصية ذلك الرجل العظيم.

إنّ ما يهمّنا أيّها الإخوة والأخوات ـ بعد المعرفة الإجمالية أو مدى الدرجة الممكنة في معرفة هذا الإنسان العظيم وسائر أولياء اللّه ـ هو أن نلتفت إلى أنّ الإمام هو ذلك المثل الأعلى الذي يجعله اللّه على الأرض ويبيّنه للبشر ليعرف الناس ما هي القدرة والأسوة؟ وما هو الهدف الذي يتحرّك نحوه؟

فبمعرفة الإمام يهتدي الإنسان الطريق، وهذا هو المهم، ولذا فالإمام في مفهومه

---

(١) الأمالي للشيخ المفيد: ١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٣) سورة هود، الآية: ٧٥.

الإسلامي الصحيح هو: من يرشد الناس بسلوكه وشخصيته وأفعاله إلى الطريق المستقيم بمقدار ما يرشدهم بلسانه وأوامره أو أكثر، وهذه مسألة مهمة.

إنّ أمير المؤمنين إمامنا وإمام جميع المسلمين، أي أنّ الجميع يعتقدون به كإمام، ولكن ما معنى (الإمام)؟، يعني أن نلحظ أبعاد هذه الشخصية كالنموذج الرفيع الذي نضعه أمامنا، ثمّ نحاول بناء شيء شبيه به، يجب أن نروّض أنفسنا لتكون شخصيتنا من حيث السلوك الفردي، والعلاقة مع اللّه، والتعامل مع الأخ المسلم في المجتمع، والتصرف فيما لدينا من أموال وإمكانات ووسائل من بيت المال، ومن حيث التعامل مع الناس باعتبارهم مجموعة بشرية نحن رعاتها وحكامها في جزء من حياتها، وفي الإخلاص في العمل لأجل المحرومين مادّياً أو ذهنياً أو علمياً أو عقائدياً، ومن حيث تعاملنا مع دين اللّه، وكيف يجب أن ندافع عنه، وكيف يجب أن نكون دقيقين تجاهه، ومن حيث معاملة أعداء اللّه.

ليكن أمير المؤمنين عليه السلام أسوتنا في جميع هذه، ونسعى لنكون مثل ذلك الإمام؛ إذ كيف يمكن لأحد أن يدّعي أنّه من شيعة علي بن أبي طالب ويكون أمير المؤمنين عليه السلام إمامه بينما تكونُ علاقته القلبية مع اللّه أقلّ أمرٍ يهتمّ به؟

إنّ الإمام عليه السلام صرف كلّ عمره في العبادة والعمل للّه ، منذ أول لحظة أشرق نور الهداية الإلهية في وجود ذلك الإمام عن طريق الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وحتّى تلك اللحظة التي نال فيها لقاء اللّه لم يغفل الإمام لحظة عن عبادة اللّه، وعن ذكر اللّه، وعن الارتباط باللّه.

فقد كان في ارتباط دائم مع اللّه، في الفرح وفي الحزن، في الحرب وفي السلم، ليلاً ونهاراً، في المسجد وفي الحرب، في الحكم وفي القضاء.

كان ذلك الإنسان يحمل همّ ضعفاء المجتمع في جميع لحظات وآنات الحكم والسلطة، ويفكر بهم، وكذلك يوصي من يرسلهم إلى أماكن مختلفة كولاة وحكّام وسفراء وغيرهم بذلك.

فقد عهد إلى مالك الأشتر بأن يبحث عن أولئك الذين لا تقع عيون أمثاله عليهم، فبإمكان الأثرياء والأذكياء وأهل المناصب والألسن الوصول إلى أمثال مالك الأشتر، ولكن هناك من لا يقدر على ذلك، حيث لا يملك الجرأة ولا المال ولا من يعرّفه عنده، يقول عليه السلام له بأن يبحث عنهم ويتفقّدهم.

فأمير المؤمنين عليه السلام يأمر ولاته، وكان يباشر هذا العمل بنفسه، فيذهب إلى بيوت الفقراء ويطعم اليتامى بيده، حتّى أنّ شخصاً قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد أطعم اليتامى بيده إلى درجة أنّنا كنّا نتمنّى أن نكون يتامى.

فكيف يدّعي شخص أنّ أمير المؤمنين عليه السلام إمامه في حين أنّه لا يتفقّد في فترة حكمه وسلطته ورئاسته ـ ولو كانت رئاسة محدودة في منطقة من مناطق البلد ـ المحرومين والفقراء والمستضعفين؟

وكيف يدّعي أنّ هذا الإمام هو إمامه، وهو غير قادر على تحمّل صفعة واحدة في سبيل اللّه، بينما كان ذلك الرجل يحارب أعداء اللّه ليل نهار لتبليغ الدين والعمل به، وشارك في جميع الحروب التي قادها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا في حالات نادرة، كمعركة تبوك حيث أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام أن يبقى في المدينة ويحافظ عليها، لأنّ المدينة كانت معرّضة للخطر، فأبقاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة.

لكن بقية الحروب أو أكثرها كان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم. كان حاضراً إلى جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الوقت الذي هرب الجميع وفي أخطر وأحلك المواقف، كيف يمكن لأحد أن يدّعي أنّه من شيعة أمير المؤمنين لكنّه لا يجرؤ على الاعتراض على أعداء اللّه خوفاً من سطوتهم وتجبّرهم؟

إنّ الذين حاربهم أمير المؤمنين في أيام خلافته وقبل ذلك كانوا أعداءً للدين وكانت لديهم سلطة سياسية وعسكرية، وكان لدى بعضهم قاعدة شعبية ونفوذ ويدّعون الإيمان والتقدّس.

كان البعض مثل الخوارج شبيهين ببعض المتطرّفين المتظاهرين بالثورية، والذين لم يعترفوا بأحدٍ غيرهم، كالذين لم يعترفوا في بداية الثورة بالإمام كشخصٍ ثوري.

فأمير المؤمنين عليه السلام قد واجه أولئك وشتّتهم وقال بأنّه لو لم يحاربهم لما تجرأ أحد على محاربتهم.

هناك من يدّعون بأنّ الإمام هو إمامهم ولكنّهم غير مستعدّين لأن يقولوا كلمة واحدة تزعج الاستكبار وأمريكا، والذين يظلمون اليوم مئات أضعاف ظلم المقتدرين الفسدة في صدر الإسلام، ويرتكبون من الظلم في يوم واحد ما يعادل الظلم الذي ارتكبه أولئك في عدّة أعوام.

يقول هؤلاء إنّهم شيعة علي، وانّه عليه السلام إمامهم!! فماذا يعني الإمام؟ هذا هو أمير المؤمنين عليه السلام وهذه هي شموليته، وطبعاً لا يمكن توضيح شموليته بهذه الكلمات.

إننا مثل ذلك الرسّام الطفيلي الذي يريد أن يرسم وجهاً جميلاً لكنّه يرسم هيكلاً جامداً، إنّه عليه السلام أرفع كثيراً من هذا الكلام ، إلا أنّ هذه الصورة الناقصة التي نرسمها ـ أيّها الإخوة والأخوات ـ جميلة ورفيعة وشاخصة إلى درجة أنّها تحيّر الناس.

يجب علينا التحرّك في هذا الاتجاه، وطبعاً لا يتوقع أحد أن يصل حتى على بعد فرسخ من مستوى أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه حقيقة.

وقد قلت قبل عدّة أعوام في صلاة الجمعة: إنّنا لا نقدر أن نكون مثل أمير المؤمنين عليه السلام، فكتب أحدهم إليّ قائلاً: نعم لقد أرحتم أنفسكم بهذا الكلام لأنّكم ليس بإمكانكم أن تكونوا كأمير المؤمنين عليه السلام، كلاّ ليس الموضوع هذا، فقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام نفسه في حديث له: «**أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ**»[1] فهو في القمّة، تصوّروا قمّة عالية، علينا أن نصعد إليها، ولا نقول إنّنا لا نصل إليها، بل يجب التحرّك.

---

(١) نهج البلاغة، كتاب: (٤٥)، من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري.

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو أسوة للمسؤولين في المؤسسات الحكومية، في أيِّ جهاز إداري وحكومي كانوا، سواء كانت مسؤوليتهم صغيرة أو كبيرة.

لقد أراد منّا أن نؤدّي العمل بإخلاص، نؤدّيه للناس دون منّة، ونحترم مراجعينا ولا نحقّرهم، ونحن نتمتع بسلامة اليد والبصر واللسان، بل ونملك قلباً سليماً.

لقد عمل أمير المؤمنين عليه السلام لإحياء الناس، ولا بأس أن أشير هنا إلى مسألة التعليم، حيث يحضر في هذا المجلس جمع من الأخوات العاملات في نهضة محو الأمية.

إنّ تعلّم القراءة والكتابة هي حسنة في نهج ذلك الإمام، وكذلك خدمة الناس والعمل وتحمّل العناء من أجلهم وحفظ الأمانة وقول الحق[1].

علي عليه السلام الحب الخالد

لعلّنا لا نستطيع أن نجد ـ من بين الوجوه المعروفة في العالم، وعلى الأخص بين الشخصيات الإسلامية ـ شخصية محبوبة لدى الشعوب وأتباع الأديان المختلفة، وعلى مرّ العصور كشخصية أمير المؤمنين عليه السلام ولا حتى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم نفسه؛ فحينما تنظرون تجدون حتى وفي ذلك الزمان الذي أوجد سيف عدالته الصارم في القلوب المتمردة والأرواح الأنانية البغض له، وأدى إلى تأليب جبهة واسعة من الخصوم ضده، تجدون خصومه حينما كانوا يراجعون أعماق نفوسهم يشعرون إزاء شخصيته بعقيدة مقرونة بالإجلال والتكريم والمحبّة؛ واستمرت هذه الحالة حتى في العصور اللاحقة.

كان علي عليه السلام أكثر الناس أعداءً، إلاّ أنه كان في نفس الوقت أكثر من حاز على الثناء حتى ممّن لا يؤمنون بدينه ومنهجه.

كان آل الزبير في القرن الأول الهجري معروفين ـ على الغالب ـ بإظهار البغض

---

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٣/ رجب/ ١٤١٤هـ ـ ق.

والعداء لبني هاشم، ولآل علي على وجه الخصوص.

وكان مصدر هذا العداء ـ في الغالب ـ هو عبد اللّه بن الزبير.

سأل أحد أحفاد الزبير أباه، ما لعلي وآله يلهج الناس بأسمائهم ويعلو ذكرهم كل يوم؛ فيما لا يلقى أعداؤهم غير الأفول والزوال السريع مع كل ما يحيطون به أنفسهم من دعايات؟ فقال له ـ ما يقارب هذا المضمون ـ : إنّهم دَعوا إلى اللّه وإلى الحق، فلم يستطع أحد إخفاء فضلهم، لكن أعداءهم دعوا إلى الباطل.

علي عليه السلام في سطور التاريخ

وهكذا كان الحال على مرّ الزمن، أي أنّ المفكرين الكبار ـ من مسلمين وغير مسلمين ـ يعلنون إجلالهم لأمير المؤمنين عليه السلام، إذا نظرتم إلى الأبطال العظام الذين ضحوا وقدموا الغالي والنفيس لأجل شعوبهم، تلاحظون أنّ اسم أمير المؤمنين عليه السلام مبجّل ومكرّم عندهم، وإذا نظرتم إلى الشعراء والأدباء والفنانين ومن يضمرون المحبة لبني الإنسان تجدونهم أيضاً يكرمون اسم أمير المؤمنين عليه السلام.

وخلاصة القول: إنّ كل من يدرس تاريخ الإسلام ـ شاباً كان أو شيخاً، عالماً كان أو من العامة ـ وتناهى إلى سمعه اسم وأخبار أمير المؤمنين عليه السلام، فسوف يشعر بالمحبة والتعطّش والولاء له.

في وقتنا الحاضر أُلّفت عدّة كتب ـ من قبل كتّاب وأدباء مصريين ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام، وكتب المسيحيون مجلدين أو أكثر من هذه الكتب، وهم وإن كانوا لا يعتقدون بالإسلام، إلاّ أنّهم يعتقدون بأمير المؤمنين عليه السلام.

وهذه من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام من بين الشخصيات الإسلامية؛ ولعل سبب ذلك يعزى إلى أنّ هذا الرجل العظيم أنفق كل وجوده على أفضل وجه في سبيل الأهداف السامية في مختلف أدوار حياته، وفي جميع الأوضاع والظروف، وفي كل

موضع عاش فيه.

ضعوا نصب أعينكم أمير المؤمنين عليه السلام وهو شاب يبلغ من العمر ست عشرة إلى تسع عشرة سنة عندما كان في مكة، أو في مطلع قدومه إلى المدينة؛ إذ لازال حينها شاباً يبلغ عشرين ونيفاً من السنين، وأُنظروا إلى المراحل المختلفة لحياة هذه الشخصية الكبرى، ترون أنّ هذا الشاب يمثّل ـ حقاً ـ أفضل قدوة لأفضل الشبان في كل زمان؛ فلم تجذبه شهوات الشباب والملذات الدنيوية والمحاسن التي لها قيمة في نظر الشباب، ولم تكن تستهويه إلاّ تلك الأهداف الكبرى والسامية التي بُعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أجلها، فكل وجوده كان في خدمة هذه الأهداف، أما الأمور الأخرى فكانت مسألة ثانوية بالنسبة إليه.

وإنّه لأمر عظيم جداً أن لا يلتفت شاب حتى لحظة واحدة إلى الدنيا ولذّاتها ومحاسنها، وأن ينفق عنفوان شبابه وطاقاته ونشاطه واندفاعه ـ أي كل ما يتحلّى به الشاب من طراوة وجمال وإيناع ـ في سبيل اللّه، وهذا غاية الإخلاص، وليس هناك ـ حقاً ـ ما هو أسمى من هذا.

لاحظوا هذا الرجل وقد بلغ سن الكمال والنضوج، وكان يعد واحداً من شخصيات مجتمعه، وهو محترم من قبل الجميع، ولعل آلاف الأشخاص قد سمعوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحمده ويثني عليه. ولا أتصور أنّ أحداً من المحدّثين المسلمين نقل بحق شخص آخر ما يضاهي كماً وكيفاً الثناء الذي نقل عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بشأن أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن الطبيعي أنّ فضائل أخر قد نقلت بشأن صحابة آخرين، لكن لا أعتقد أنّ أياً من المحدّثين المسلمين ـ من أي الفرق الإسلامية كان ـ قد نقل بشأن أحد ـ غير أمير المؤمنين عليه السلام ـ أحاديثاً بهذه الكمية وبهذه الكيفية وبهذا المضمون.

ومن البديهي أنّ واحدة من هذه الفضائل تكفي لإيقاع الإنسان في العجب والغرور وفَقْد الاتزان والخطأ في اختيار التكليف، كل هؤلاء سمعوا مئات الأحاديث من لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الثناء على علي عليه السلام، ثم جاءت مرحلة الاختبار وعرضت قضية الخلافة ـ

من غير أن نتناول قضية الحق والباطل والوصية وما إلى ذلك ـ ومن البديهي أنّ أمير المؤمنين كان يدّعي الخلافة؛ وهذا ممّا لا يشك فيه أحد، ولكنه حينما رأى أنّ مصلحة العالم الإسلامي تقتضي خروجه من الساحة، خرج منها.

أي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام طوى كل ذلك الثناء والتمجيد والمؤهلات ـ وكل ما كان يراه لنفسه، وما سمعه وما يعرفه آلاف الأشخاص ـ في ملف النسيان المؤقت ووضعه جانباً.

وبطبيعة الحال أنّ ذلك لم يكن يُنس، ولا يُنسى، وهو باقٍ إلى أبد الدهر، إلاّ أنّه عليه السلام أعرض عنه، أي أنّه ومع كل ما ورد في حقه ومع كل ما في شخصه من المميزات لأمر الخلافة ورئاسة العالم الإسلامي والمسؤولية الكبرى، تنحى ـ عند شعوره بالخطر ـ جانباً وقال: ما مضمونه: فلما رأيت خطورة الوضع، والمجازفة بدين النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفّفتُ يدي واعتزلت.

وليس هناك كبح لجماح النفس أسمى وأفضل وأبلغ وأعجب من هذا بالنسبة للإنسان السياسي المخلص، وللإنسان العظيم الذي لا يبغي الاستجابة لأهوائه النفسية.

وتصوروا هذا الإنسان نفسه في موقع رئاسة العالم الإسلامي، حينما أصبح زعيماً للمسلمين. فانهال الناس عليه وانتخبوه، شاء أم أبى.

فكان الكل ـ الصديق والعدو والمنافس وغيرهم ـ بين مبايع وبين مَن أعلن عدم معارضته، وهؤلاء الذين امتنعوا عن البيعة كان عددهم ضئيلاً جداً، أربعة إلى ستة أشخاص، لكنهم قالوا إننا لا نعارض، وتنحّوا جانباً، وبايع البقية جميعاً، وأصبح زعيماً لكل العالم الإسلامي.

أتعلمون ماذا يعني العالم الإسلامي يومذاك؟ إنّه من حدود الهند إلى ضفاف البحر الأبيض المتوسط؛ هذا هو العالم الإسلامي آنذاك، حيث كان يضم العراق ومصر والشام وفلسطين وإيران وغيرها، أي لعله كان رئيساً لنصف العالم المعمور آنذاك، وبقدرة تامّة.

وكانت معيشة أمير المؤمنين عليه السلام وزهده الذي سمعتم به، يتعلق بهذه الفترة، فالحياة الجميلة ولذّاتها ورغدها وجمالها وغيرها من الأمور ـ التي يكفي واحد منها لاستمالة شخصيات كبرى واضطرابها في بوتقة ذلك الاختبار وانزلاقها وخروجها عن الصراط ـ لم تستطع بأجمعها أن توقع أمير المؤمنين عليه السلام في مهاوي الشك والاضطراب حتى لحظة واحدة؛ ناهيك أن تميله عن الصراط.

لقد أثبت هذا الإنسان الكبير أنه أقوى عزماً وشكيمة من كل عوامل الإغواء، وهذه هي معاني العظمة، وهذه هي العناصر التي خضعت لها الأجيال والتاريخ وبنو الإنسان والمجتمعات، ولو رام أحد الإنصاف لما أمكنه العصيان والتمرد على مثل هذه الشخصية؛ بل إنّ القلوب تخضع له طواعية.

إنّ مَن تعالتهُ رشحة مِن سجايا أمير المؤمنين عليه السلام، بإمكانه أن يتفوّق على الكثير من أنماط الزيغ والنوازع الداخلية والخارجية، فهذا الإمام الكبير الذي رأيتموه، كان من أعظم الشخصيات في عالمنا المعاصر بحيث تشعر أمامه بالضِعة، وحتى مندوبوه، فبما أنهم كانوا يحملون معهم اسم الإمام، فإنّهم أينما حلّوا كانوا يرغمون الطغاة والأكابر وأصحاب القوة في العالم على الخضوع والتواضع.

قدوتنا علي عليه السلام

إمامنا الكبير ـ الخميني ـ قد استطاع أن يغرس في ذاته جزءاً وجانباً من معدن الجمال والإخلاص لذلك الرجل الفذ.

وهذا الجزء الذي نتحدث عنه بالغ العظمة طبعاً، إلاّ أنّه ضئيل، ولا يكاد يمثل إلاّ قطرة من المحيط المترامي لشخصية أمير المؤمنين عليه السلام، وإن كان بحد ذاته كبير وكثير جداً.

أعزائي، لا تتيسر معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الطريقة، ولا يمكن ذلك.

نعم، للإنسان أن يستشعر شيئاً عنه عليه السلام عن طريق هذه المقارنات؛ فالإمام السجاد عليه السلام أجاب أحد أصحابه حينما سأله، يا بن رسول الله لماذا تحمل نفسك على هذه المشقّة وتكثر من الزهد والعبادة؟ فما الذي يجعلك تحرص على كل هذا الزهد العبادة؟ فلو رحمت نفسك وجسدك! فبكى الإمام السجاد عليه السلام وقال [ما معناه]: قارن بيني وبين أمير المؤمنين عليه السلام، وانظر أين أنا وأين أمير المؤمنين. اُنظروا؛ فهذا كلام زين العابدين عليه السلام[1].

شخصية الإمام السجاد عليه السلام من الشخصيات النادرة، لا أنها نادرة في العمل فحسب، وإنما هي نادرة في الفكر أيضاً؛ إنّه شمس ساطعة لا يمكن لأحد النظر إلى شعاعها إلاّ عن بعد؛ وهو حينما ينظر إلى أمير المؤمنين ينظر إليه بعين التعظيم والإجلال التي ينظر بها طفل صغير إلى بطل عملاق. هذا هو أمير المؤمنين وهذه عظمته عليه السلام، وبهذه العظمة.

أعزائي، إنّ الجانب الذي يعنيني ويعنيكم هو هذا البعد من القضية، وهو أنّ اتّباع هذا الرجل لا يتحقق بمجرد الكلام، فلو كنتم في ساحة الحرب وتؤكدون على الدوام أنّ فلاناً هو قائدنا، وتعلنون دوماً طاعتكم له، ولكن حينما يدعوكم ذلك القائد للاصطفاف لا تستجيبون، وعندما يأمركم بالتدريب لا تأتمرون، ويأمركم بالهجوم فتعرضون، فأية قيادة هذه؟ ليس هذا قائدكم؛ فالإنسان يمارس مثل هذا السلوك مع عدوّه ومع الإنسان الغريب.

أمير المؤمنين عليه السلام مولانا وإمامنا وقائدنا، ونحن شيعة علي، وإنّا نفتخر بهذا، ولو أن أحداً ذكر اسم أمير المؤمنين بقليل من التعظيم، امتلأت قلوبنا غيظاً عليه، إذاً لابدّ أن يكون لهذا تأثير في حياتنا.

لا نقول نكون كأمير المؤمنين عليه السلام؛ فالإمام السجاد عليه السلام قد قال: إنّه غير قادر على

---

(١) وسائل الشيعة، ج: ١، ص: ٩٢. باب (٢٠) تأكد استحباب الجد والاجتهاد في العبادة.

العمل كأمير المؤمنين عليه السلام[1]، وأمير المؤمنين عليه السلام نفسه قال: «**أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ**»[2]، ولمن قال أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكلام؟ قاله لعثمان بن حنيف مع كل ما له من عظمة، إنّك لا تقدر على مثل ما أعمل. وهذا من الواضح. ولكن سيروا على الأقل في ذلك الاتجاه، وعلى ذلك الطريق، وفي ذلك المسار، وهذا واجب، فإذا ما أردتم أن تكونوا في خندق أمير المؤمنين عليه السلام فإن أبرز ما تميّز به عليه السلام في عهد حكومته ـ والذي يرتبط بحاضري وحاضركم ـ خصلتان: إحداهما العدل الاجتماعي، والأخرى الزهد في الدنيا.

أعزائي: هذان الأمران يجب أن نرفعهما كالعَلَم في مجتمعنا، العدالة الاجتماعية هي أن تكون نظرة الحكومة إلى جميع أبناء الشعب متساوية، وأن يكونوا سواسية أمام القانون، وفي الامتيازات، وفي التعامل.

من البديهي: إنّ لكل إنسان أصدقاء وأقارب، لهذا فإن العلاقات ليست متساوية مع الجميع. فالشخص المسؤول ـ من دون فرق بين أن يكون مسؤولاً عن دائرة أو موظفاً صغيراً، أو كان حجم مسؤوليته كبيراً أوْ لا؛ فالجميع سواسية ـ له صلة بشخص، ليس له صلة بشخص آخر، لا نريد أن نقول هذا، ولكن نقصد أن يكون السلوك والتعامل قانونياً، أي حينما تكون ثمة امتيازات، ومن شأن الحركة والنظرة والإشارة من المسؤول أن تكون ذات أثر.

يجب هنا أن يكون الجميع سواسية، يجب أن يشعر الجميع بأنهم ينتفعون من خيرات النظام الإسلامي بشكل متساوي، طبعاً البعض يتميّز بالكسل ولا يلاحق العمل، والبعض يقصّر، والبعض الآخر يظلم نفسه، هؤلاء حسابهم على حدة.

أمّا معنى العدالة الاجتماعية فهو أن تطبّق جميع القوانين والمقررات على أفراد

---

(١) وسائل الشيعة، ج: ١، ص: ٩٢.

(٢) نهج البلاغة، كتاب: (٤٥) من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصرة.

المجتمع عامة، وأن لا يحصل البعض على امتياز خاص من غير سبب، هذا هو معنى العدالة الاجتماعية، وهذا ما فعله أمير المؤمنين عليه السلام.

وهو السبب الذي جعل البعض يعادي، بل يخرج ويقاتل أمير المؤمنين عليه السلام.

حينما تعدى ذلك الشاعر ـ النجاشي ـ الذي نظم كل تلك الأشعار بحق أمير المؤمنين وضد أعدائه، حدود اللّه في شهر رمضان، أقام عليه أمير المؤمنين عليه السلام حد اللّه، مذكّراً إياه، إنّك تعديت على حدود اللّه، وكان ذلك الرجل قد شرب الخمر في نهار شهر رمضان علناً ـ فكان ذنبه شرب الخمر وهتك حرمة شهر رمضان أيضاً ـ فجاءه جماعة وقالوا: يا أمير المؤمنين إنّ هذا الرجل نظّم بحقك الكثير من الأشعار، وهو يعلن لك الولاء، وإنّ أعداءك قد بالغوا في إغرائه فلم يستجب لهم، فاحتفظ به، فقال لهم ما مضمونه: نعم، ليبقى، ولكنني أقيم حد اللّه عليه، وأقام عليه الحد؛ فالتحق النجاشي بمعاوية[1]، هكذا كان يتعامل أمير المؤمنين عليه السلام مع أحكام اللّه ومع حدود اللّه.

لكن ومن جهة أخرى جيء برجل سارق إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: كم تحفظ من القرآن؟ فقرأ آية، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «**قد وهبت يدك بسورة البقرة**»[2].

فيدك التي يجب أن تقطع وهبتها لك مقابل سورة البقرة، فاذهب.

لم يكن هذا التميز عبثاً؛ وإنّما لأجل سورة البقرة، وتكريماً للقرآن، حينما تعرض الأصول والقيم والمعايير لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يعير اهتماماً لأحد؛ فحينما فسق ذلك الرجل وفجر أقام عليه الحد الشرعي لفسقه وفجوره، ولم ينظر إلى أن هذا الرجل قد أسدى إليه خيراً، ولكنه تغاضى عن إقامة حد السرقة لأجل القرآن، هذا هو أمير المؤمنين.

أي أنّه يسير مئة بالمئة وفقاً للمعايير والقيم الإلهية ـ ولا شيء سواها، والقول المأثور

---

(١) بحار الأنوار، ج: ٣٣، ص: ٢٧٣.

(٢) منهج الصادقين، ج: ٣، ص: ٢٣٠.

«**إنّ علياً قتل في محراب عبادته لشدّة عدله**» ولا أعلم قائله على وجه الدقّة، قول صحيح؛ فعدالة أمير المؤمنين جعلت أصحاب النفوذ لا يطيقون عدله.

ولعلّ البعض يقول الآن: إنّ العدالة التي لم تسمح لعلي عليه السلام بمواصلة حكومته المباركة، كيف تريدون تطبيقها اليوم؟ أقول: يجب تطبيق ما نقدر عليه وما نطيقه.

إنّنا لا ندّعي وجوب تطبيق العدالة مثل أمير المؤمنين، بل نقول يجب تطبيق ما يقدر مؤمن العصر على تطبيقه. وهذا القدر من العدالة الذي يمكن تطبيقه ويجب تطبيقه، إذا اتخذ طابعاً ثقافياً وأدرك الناس معنى العدالة، سيكون حينها قابلاً للتحمل، جماهير الأمة كانت تحلو لها عدالة أمير المؤمنين عليه السلام، ولم تكن كارهة لها، إنّما الذي ساءته عدالة علي عليه السلام أصحاب النفوذ.

والسبب الذي أعانهم على انكسار أمير المؤمنين عليه السلام ومكّنهم من إيجاد تلك الحالة في معركة صفين، ثم قتله، والسبب الذي ملأ قلب أمير المؤمنين عليه السلام قيحاً، هو أنّ قدرة التحليل كانت ضعيفة لدى الناس، والمتنفذون يؤثرون على أفكارهم. يجب تصحيح قدرة الناس على الفهم والإدراك، ورفع مستوى الإدراك السياسي في المجتمع، ليصير بالإمكان تطبيق العدالة.

القضية الثانية هي زهد أمير المؤمنين، فمن أبرز المعالم في نهج البلاغة هو الزهد؛ والزهد الذي طرحه أمير المؤمنين آنذاك، إنما طرحه كعلاج لمرضٍ كان يعاني منه المجتمع الإسلامي.

لقد ذكرت ذلك مراراً، واليوم يجب أن نقرأ نفس آيات الزهد تلك.

وحينما كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول لا تغركم محاسن الدنيا وإغراءاتها، كان الكثير من الناس لا يحصلون على تلك الملذات؛ بل لعل أكثر الناس كانوا على هذه الشاكلة، فخطاب أمير المؤمنين مع أولئك الذين أغنتهم الفتوحات ـ وأصبحوا خلال سنوات

التوسع وتنامي قوة الإسلام الدولية، على درجة من الثراء والامتيازات ـ لهجته التحذير من سوء العاقبة وخسران الآخرة.

نحن عندما نتحدث عن الزهد، ونحاول أن نُلفت الأنظار إليه، لا يقال لنا: إن أكثر الناس لا يملكون هذه الأشياء التي تتحدثون عنها؛ بل خطابنا مع الأثرياء الذين فُتحت لهم ملذات الدنيا أحضانها فاستطاعوا بلوغ تلك الملذات بطرق الحرام، ثم بعد ذلك مع من استطاع بلوغ الملذات من طرف الحلال.

إنّ الورع والنقاء واجتناب الحرام، والتقوى، هي أرفع وأوجب أنواع الزهد البتة، إلاّ أنّ الزهد عن اللذات المحللّة له مرتبة رفيعة أيضاً؛ نعم، مخاطبوه أقل أفراداً.

واليوم هو ذلك اليوم ـ مع التفاوت في ظروف الزمان والخصائص التاريخية لكل عصر ـ، وعلى من تصل أيديهم إلى الرغد والنعيم والملذات والرفاه المتزايد للحياة، أن يضعوا كلمات أمير المؤمنين في الزهد نصب أعينهم، ولاشكّ في أنّ هذا الخطاب أشد وأبلغ مع أصحاب المسؤوليات، وهو يعم مَن لا منصب ولا مسؤولية حكومية له ـ أيضاً ـ ولكن بشكل أضعف؛ فأولئك أولى به.

ولو أنّ مجتمعنا الإسلامي الذي تُحدق به كل هذه المخاطر، وكل هؤلاء الأعداء، وضع هذه التوصيات نصب عينيه وأولاها الاهتمام اللازم وأعطاها صيغة ثقافية، وأدرك كل هذا وتحدث فيه وطالَب به، فلن يؤدي تطبيق مثل هذه العدالة ومثل هذا الزهد إلى أيجاد أية مخاطر على النظام الإسلامي أبداً، بل إنها تجعله أكثر قوّة وصلابة.

لقد أوقد أمير المؤمنين عليه السلام هذين المشعلين ليضيء كل التاريخ، والذين يتمردون سيلحقون الضرر بأنفسهم، ويبقى اسم علي، وذكر علي، ودرس علي على مدى التاريخ

لا يطاوله النسيان، وسيبقى على الدوام[1].

جوانب أخرى من صفات أمير المؤمنين عليه السلام

قد تحدث الخطباء والكتّاب والمفكرون والشعراء والنادبون والمادحون لأهل البيت، وجميع المسلمين من الشيعة وغيرهم، وغير المسلمين قُرابة ألف وأربعمائة سنة، وسيستمر الحديث عنه عليه السلام إلى أبد الدهر، إلاّ أنّ دائرة الكلام حول هذه الشخصية العظيمة من الاتساع بدرجة إذ لو دخلنا من أية زاوية لوجدنا أشياءً غير مذكورة.

فليس بالإمكان إحاطة المخاطَب بجميع حقائقه ويقال له: هذا هو أمير المؤمنين.

نعم بالإمكان الدخول من أبعاد مختلفة وبيان شيءٍ حول هذا الشخص العظيم بمقدار ما تَسعُه همتنا وفهمنا وبصيرتنا.

فكرت فرأيت أنّه ربما أمكن العثور على مئة صفة ـ ذكر التعبير بالمئة بعض الكبار أيضاً في بعض الروايات ـ وخصوصية في أمير المؤمنين عليه السلام، سواءً الخصوصيات المعنوية كالعلم والتقوى والزهد والحلم والصبر وخصوصياته النفسية، أو خصوصياته السلوكية ككونه أباً وزوجاً ومواطناً ومقاتلاً وقائداً وحاكماً، أو خصوصياته في معاشرة الناس كإنسان متواضع وعادل ومدبّر لشؤون الناس وقاضٍ، فربما أمكن عدُّ مئة صفة من هذا النوع لأمير المؤمنين عليه السلام، ولو أمكن لشخص بيان هذه المئة صفة ببيان شامل وبليغ لأمكنه إجمالاً عرض صورة كاملة تقريباً عن أمير المؤمنين عليه السلام.

غير أنّ دائرة هذه الصفات أيضاً من الاتساع بحيث تحتاج كل واحدة منها إلى كتاب واحد على الأقل.

نأخذ إيمان أمير المؤمنين عليه السلام كمثال.

إنَّ الخصوصيات التي أريد التحدث عنها وسأذكرها فيما بعد ليست هي الإيمان، إلاّ

---

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٣/ رجب/ ١٤١٧هـ.ق.

أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان إنساناً مؤمناً، أي أنّ الفكر والإيمان والاعتقاد كان راسخاً في أعماق وجوده، فبأي شيء يمكننا أن نقيس هذا الإيمان حتى تتجلّى عظمة إيمان أمير المؤمنين عليه السلام، وبناءاً على ما نقل عنه عليه السلام أنّه قال: «**لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً**»[١]، أي لو أزيحت حُجب الغيب وتمكنت من مشاهدة الذات المقدسة للباري تعالى والملائكة والجنة والنار وكل ما ذكرته الأديان عن الغيب وملكوت هذا العالم بهذه العين الباصرة لما زاد يقيني على ما هو عليه، أي أنّ هذا اليقين كيقين من شاهد جميع الحقائق بعينه.

هذا الإيمان الذي يقول عنه الشاعر العربي:

أشهد بالله لقد قال لنا ... محمد والقول منة ما خفى

لو أن إيمان جميع الخلق ممن ... سكن الأرض ومن حلَّ السما

يجعل في كفة ميزان لكي ... يوفي بإيمان علي ما وقى

أو السابقة إلى الإسلام مثلاً إذ آمن في صغره وارتضى هذا الطريق وسلكه بكل كيانه حتى اللحظة الأخيرة، وهذا شيء لا يمكن بيانه في بضع كلمات.

وعلى كل حال فجميع هذه الأبعاد أبعاد عظيمة وواسعة.

وقد شاهدنا كثيراً من العظماء وتعرفنا عليهم أو قرأنا سيرهم في الكتب وهم من العظمة بمكان لو جسّدهم الإنسان بشكل صحيح فسوف يشعر حقاً بالضآلة أمامهم، ومَثَلهُ في ذلك كمن يرفع رأسه إلى السماء ويشاهد القمر وكوكب الزهرة والمشتري، فكم هي كبيرة ومرتفعة هذه الكواكب وكم هي وضّاءة، غير أنّ عيوننا القاصرة والضعيفة عاجزة عن فهم الفرق بين هذا الكوكب الذي يحمل اسم المشتري أو الزهرة وبين ذلك الكوكب الذي لا يشاهد إلاّ بواسطة الأجهزة الفنية والتلسكوبات الدقيقة، ويقال إنّها تبعدُ

---

(١) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب، ج: ٢، ص: ٣٨.

عنا بملايين السنين الضوئية وتشكل مجرةً وحدها، وكم هي بعيدة عنـه، فكلاهمـا يبـدو كوكباً وكلاهما تراه أعيننا في الليل شاخصاً في السماء.

ولكن أين هذا من ذاك، فنحن عن تلك العظمة من البعد بمكـان لا يمكنننـا معـه أن نفهم الفرق بشكل صحيح بين أمير المـؤمنين عليه السلام وبـين العظمـاء والكبـار فـي التـاريخ والإسلام والكتّاب والعلماء وفي كل المواطن التاريخية والبشرية.

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام حقيقة مذهلة، والإشكال في المسألة يبدأ من أننا وإيّاكم نُعـد من شيعة علي بن أبي طالب، وعلينا أن نقتدي به، فلو جهلنا شـيئاً مـن أبعـاد شخـصيته فسيحدث خلل في هويتنا.

فأحياناً لا يدعي الإنسان شيئاً، إلاّ أننا ندعي ذلك الشيء ونريد أن نكون علويين.

فنحن الشيعة في الدرجة الأولى، والمسلمون من غير الشيعة في الدرجة الثانية نواجه هذه المشكلة، طبعاً جميع المسلمين يقرّون بأمير المؤمنين عليه السلام، غير أنّ الشيعة ينظـرون إلى هذا الرجل الشامخ ويعرفونه بكيفية وعظمة خاصتين.

شجاعته عليه السلام

الشجاعة صفة عظيمة ومؤثرة، وأثر الـشجاعة فـي سـاحة القتـال هـو أن لا يخـشى الإنسان المخاطر ويخوض غمار الهول ويبذل جهده وينتصر على العدو، والناس يفهمون هذا الجانب من الشجاعة.

ولكن للشجاعة مواطن أخرى غير ساحة الحرب، ويكون أثر الشجاعة هناك أهم منه في ساحة الحرب، كما في مجالات الحياة، وتقابل الحـق مـع الباطـل، وسـاحة المعرفـة وتبيين الحقائق وساحة المواقف التي تعرض للإنسان طيلة حياته، فأثر الشجاعة يظهر في هذهِ المواطن.

فالشجاع هو الذي حينما يعرى الحق يتبعه ولا يخشى شيئاً ولا يحول دونه محذور ولا تحول دونه الأنانية ولا عظمة جبهة العدو، وأمّا غير الشجاع فلا نقول إنّه لا ينتصر على العدو فحسب، بل أحياناً قد يتداعى بناء الحق بانعدام شجاعة الفرد إذا كان ذا منزلة ومكانة في المجتمع، هذهِ هي حقيقة الشجاعة.

فأحياناً على أثر عدم شجاعة فرد ينقلب حق إلى باطل، وأحياناً على أثر عدم شجاعة شخص كان ينبغي عليه التدخّل ينقلب باطل إلى حق، هذهِ شجاعة أخلاقية واجتماعية وشجاعة في واقع الحياة، وهذهِ الشجاعة أسمى من الشجاعة في ساحة القتال.

كان أمير المؤمنين عليه السلام من أشجع الشجعان في ساحة الحرب، فلم يولِّ العدو ظهره أبداً وليس هذا بالقليل، فقصته في حرب الخندق معلومة حيث تقدم عندما تخاذل الجميع، كذلك قصته في فتح خيبر، وفي وقعة بدر وأُحد وحُنين، وكل واحدة من هذه الوقائع لو نظرتم إليها تجدون أمير المؤمنين عليه السلام ـ وله من العمر في بعضها ٢٤ سنة وفي بعضها ٢٥ سنة، وفي بعض المواطن ٣٠ سنة ـ قد نصر الإسلام وهو شاب لم يتجاوز العقد الثالث بشجاعته في ميادين القتال وخلق تلك الأعاجيب، وهذا يختص بالحرب.

ولكنني أقول: يا أمير المؤمنين، يا حبيب اللّه إنّ شجاعتك في ميادين الحياة أكثر بكثير من شجاعتك في ساحة الحرب، وذلك منذ صغرك فقضية السبق إلى الإسلام ـ التي ذكرتها ـ والتي لبّيت فيها الدعوة حين رفضها الجميع ولم يجرؤ أحد منهم، فهذه شجاعة.

طبعاً خذوا بنظر الاعتبار حادثة كهذه حيث يمكن أن تكون مثالاً من أبعاد مختلفة لخصوصيات مختلفة، إلاّ أننا الآن ننظر إليها من زاوية شجاعة هذا العمل.

طرح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم دعوته في مجتمع كانت جميع العوامل فيه تناهض هذهِ الدعوة، فجهل الناس وحميّتهم، وشرف الأشراف المسيطرة على الناس تقف بوجه هذه الدعوة.

فأي نجاح يمكن أن تطمح به دعوة كهذه في المجتمع.

قام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بطرح مثل هذه الدعوة ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[١]، في البداية عمد الأعمام المتكبرون وأصحاب الرؤوس المليئة بالعصبية والغرور والعنجهية وغير المذعنة للحق والساخرة بكل كلام متين في الدنيا، عمدوا إلى الاستهزاء والسخرية، مع أنّه كان جزءاً منهم وكانت عندهم عصبية تجاه العِرق، فجميع الناس آنذاك كانوا كذلك، فأحياناً يقتتلون عشر سنوات انتصاراً لقريب لهم.

ولكنه عندما حمل هذا القريب هذا المشعل بيده زوى الجميع أعينهم وصرفوا وجوههم ولم يحتفلوا به وأهانوه وحقرّوه وسخروا منه.

وهنا قام هذا الغلام وقال: أنا يا رسول اللّه.

طبعاً كان قد آمن قبل ذلك إلاّ أنّه هنا أعلن إيمانه، وأمير المؤمنين عليه السلام هو ذلك المؤمن الذي لم يكن إيمانه مستوراً أبداً طيلة ثلاث عشرة سنة من بداية البعثة إلاّ في الأيام القليلة الأولى، فقد أخفى المسلمون إيمانهم لعدة سنوات، إلاّ أنّ الجميع كانوا يعرفون بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد آمن منذ البداية.

جسّدوا هذا الأمر في أذهانكم بشكل صحيح ففي الوقت الذي يمارس فيه الجيران وكبار المجتمع الإهانات والتضييق، إذ يسخر الشاعر والخطيب والثري، ويوجّه الحقير والسافل الإهانات، يقف الإنسان وسط هذهِ الأمواج الجارفة والمعارضة شامخاً صلباً كالجبل الأشم معلناً: عرفت اللّه، وعرفت هذا الطريق وأصر عليه، فهذه هي الشجاعة، وقد تجسّدت هذهِ الشجاعة في مكة والمدينة وفي مبايعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد عمد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عدة مرات ولعدة مناسبات على أخذ البيعة، وإحدى تلك البيعات وربما أصعبها هي بيعة الشجرة (بيعة الرضوان) في حادثة الحُديبية[٢].

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٢) بيعة الرضوان، أو بيعة الشجرة: في سنة سبع من الهجرة استنفر رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه للعمرة فخرج معه

فعندما ازداد الموقف حرجاً جمع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الألف وبضع مئات من الذين تحلّقوا حوله ـ على ما هو مذكور في كتب التاريخ ونقله الجميع قائلاً: تبايعوني على الموت وعدم الهزيمة وأن تحاربوا حتى النصر أو القتل.

وأتصور بحسب الظاهر أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأخذ مثل هذهِ البيعة من المسلمين في موضع آخر غير هذا الموضع، وكان في هذهِ الجماعة مختلف الناس وكان فيهم ضعاف الإيمان إذ يذكرون بعض الأسماء أيضاً وفيهم حتى من المنافقين في هذهِ البيعة.

وأول من بايع رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم هو هذا الشاب اليافع الذي له من العمر عشرون سنة ونيف، فرفع يده وقال: «**أبايعك على الموت**»، وبعد ذلك تشجّع المسلمون وتقدموا وبايعوا واحداً بعد الآخر، وحتى الذين لم يرغبوا في ذلك اضطروا إلى المبايعة ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ...**﴾[١]. وهذهِ شجاعة.

ففي حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أينما وجد موضع لإظهار الجوهر الإنساني كان هذا العظيم يتقدم، فكان السبّاق في كل الصعاب.

جاء رجل إلى عبد اللّه بن عمر ليتحبّب إليه، وقال: أنا أُبغض علياً، وكان يرى أنّ هؤلاء عائلياً لا يحبّون علياً، فقال له عبد اللّه بن عمر: «**أبغضك اللّه، أتبغض رجلاً سابقة من سوابقه خير من الدنيا وما فيها**»؟[٢].

ألف وثلاثمائة، أو ألف وستمائة، ومعه سبعون بدنة، وقال: لست أحمل السلاح، إنّما خرجت معتمرا. وأحرموا من ذي الحليفة، وساروا حتّى دنوا من الحديبية على تسعة أميال من مكّة، فبلغ الخبر أهل مكّة فراعهم، واستنفروا من أطاعهم من القبائل حولهم وقدّموا مائتي فارس عليهم خالد بن الوليد أو عكرمة بن أبي جهل، فاستعدّ لهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وقال: إنّ اللّه أمرني بالبيعة. فأقبل الناس يبايعونه على ألاّ يفرّوا، وقيل: بايعهم على الموت، وأرسلت قريش وفدا للمفاوضة، فلمّا رأوا ذلك تهيّبوا وصالحوا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم. المصدر: كتاب معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري.

(١) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج: ١، ص: ٢٨٨.

هذا هو أمير المؤمنين عليه السلام العظيم، هذا هو علي الساطع في التاريخ، هذهِ هي الشمس التي سطعت لعدة قرون وتزداد سطوعاً يوماً بعد يوم، فأينما لزم وجود الجوهر الإنساني كان هذا الرجل العظيم حاضراً هناك حتى إذا لم يكن معه أحد، فقد كان يقول: **«لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله»**(١)، وكان هو أيضاً كذلك، فإذا كنتم في أقلية وكان جميع أهل الدنيا ضدكم ولا يرتضون طريقكم، أو أنّ الأكثرية لا تقبل ذلك فلا تستوحشوا ولا تتراجعوا، فعندما تتعرفون على الطريق القويم أسلكوه بكل وجودكم.

هذا هو المنطق الشجاع لأمير المؤمنين عليه السلام، وهذا ما التزمهُ أيضاً في حياته.

وفي حكومته أيضاً التي استغرقت أقل بقليل من خمس سنوات كان هذا المنطق ـ أيضاً ـ ماثلاً أمام أمير المؤمنين عليه السلام، فكل ما ترونه شجاعة، فمنذ اليوم الثاني من مبايعته عليه السلام خرج وتكلم بشأن القطائع التي أعطيت قبله لهذا وذاك وقال: **«وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَمُلِكَ بِهِ الإمَاءُ، لَرَدَدْتُهُ؛ فَإِنَّ في العَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ العَدْلُ، فَالجَوْرُ عَلَيْهِ أَضيَقُ»**(٢)، وشرع في ذلك وحدثت تلك الضغائن.

فهل تُعهد شجاعة أعظم من هذهِ الشجاعة.

وقف بشجاعة أمام أكثر الناس عناداً، ووقف بشجاعة أمام ذوي النفوذ في المجتمع الإسلامي، ووقف بشجاعة تجاه الثروة المتكدسة في الشام والتي كان يمكنها تجهيز ورصّ عشرات الآلاف من الجنود لمقاتلته، فعندما عرف طريق اللّه لم يتساهل مع أي شخص، وهذهِ شجاعة، كما أنّه لم يتساهل حتى مع أقربائه.

إنّ التلفّظ بهذهِ الأمور سهل، إلاّ أنّ العمل بها عظيم وشاقّ جداً، فقد كنا في يومٍ ما نبيّن هذهِ الأمور كعبرٍ من حياة علي عليه السلام، ولابدّ من الاعتراف بحقيقة الأمر وهو: أنّنا لم ندرك عمقَ هذا المطلب بشكل جيد..

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٠١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥.

هكذا عاش أمير المؤمنين عليه السلام، فتعرّف ببركة ذلك ملايين الناس على الإسلام والحقيقة.

إنّ أمير المؤمنين الذي لُعن قرابة المئة عام فوق المنابر، وأسيء إليه في جميع العالم الإسلامي، ووضعت آلاف الأحاديث ضده أو ضد ما تفوّه به، وبُثَّتْ في ميادين الفكر، وتمكن بعد مضي هذه السنوات الطوال من أن يخرج نفسه من تحت ركام هذه الأوهام والخرافات ويقف بطوله الشامخ يوجّه التاريخ.

إنّ جوهرة مثل علي عليه السلام يكتب لها البقاء دون أن يلوّثها أو يقلل من قيمتها الطين الشوك والأدران، فإنّك إذا رميت ماسة في الطين تبقى ماسة وستظهر نفسها.

فلابدّ من استحصال مثل هذا الجوهر، وعلى كل مسلم أن يجعل هذا المشعل العظيم قدوته ويتجه صوبه.

لم يدّعِ شخص أنّ بإمكانه العمل مثل علي بن أبي طالب، ولا ينبغي جدلاً أن يقال لهذا أو ذاك: لماذا لا تصنع نفس صنيع علي عليه السلام، فقد تحدثوا مع الإمام السجاد عليه السلام حول عبادة أمير المؤمنين عليه السلام فبكى الإمام وقال: أين نحن من أمير المؤمنين. نُقل ذلك عن الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام وهو معصوم، أفهل يمكننا أن نكون مثل علي عليه السلام؟

لم يستطع لحد الآن أي شخص من عظماء العالم، ولم يدّعِ ولم يتخيل ولا خطر في ذهنه مثل هذا الاشتباه في أنّه سيتمكن من القيام بنفس ما كان يقوم به أمير المؤمنين عليه السلام.

المهم أن يكون نهجنا نهج أمير المؤمنين عليه السلام، فإن هذا الرجل العظيم بنفسه يقول في نهج البلاغة في كتاب له إلى عثمان بن حُنيف بعد أن بيَّن له وضعه وكيفية عيشه قال: «**أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ**»[1].

(١) نهج البلاغة، كتاب: (٤٥).

كلا فهذا مقام لا يمكن نيله، إلاّ أنّه أسوة، فليكن سعينا هو الاتجاه نحو هذهِ الأسوة.

لا يمكن لأحد أن تكون له شجاعة علي عليه السلام، فإن أقرب الناس إليه عليه السلام وهو عبد اللّه بن عباس، فقد كان ابن عمه وتلميذه ورفيقه وأمين سره وكان مخلصاً ومحباً حقيقياً لأمير المؤمنين عليه السلام ـ وقد ارتكب غلطةً ولا أريد الدخول في تفاصيل ذلك لأنّ هذا الرجل العظيم كان عظيماً حقاً ـ وكان قد أخذ مقداراً من أموال بيت المال ظناً منه لاستحقاقها وذهب إلى مكة، فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً يقشعر له الجلد، فأي رجل هو هذا وكم هو عظيم ـ قال فيه: «**فَاتَّقِ اللهَ، وَارْدُدْ إِلَى هؤُلاَءِ الْقَوْمِ أَموَالَهُمْ، فإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللهُ منْكَ لأُعْذرَنَّ إِلَى الله فيكَ، وَلأَضْربَنَّكَ بسَيْفِي الَّذي مَا ضَرَبْتُ به أَحَداً إِلاَّ دَخَلَ النَّارَ، وَاللهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلاَ مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، وَلاَ ظَفِرَا مِنِّي بإِرَادَة، حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا**»[1].

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يعلم أنّ الحسن والحسين عليهما السلام معصومان إلاّ أنّه يقول: إذا حصل مثل هذا الأمر ـ الذي لا يمكن أن يحصل ـ سوف لا أكون رحيماً معهما.

هذهِ شجاعة، وطبعاً من زاوية، أخرى هي عدل، ومن زاوية ثالثة احترام للقانون، توجد لذلك عناوين متعددة إلاّ أنّها من هذه الزاوية شجاعة ومقدرة نفسية.

وهنا يتعين على شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، بل وحتى المسلم المؤمن بأمير المؤمنين علي عليه السلام أن يستلهم العبر من شجاعة ذلك الإمام، فلا يستوحشوا من إعراض العدو ومن الإحساس بالغربة.

إنّ شجاعة علي بن أبي طالب وصموده أمام ذلك الباطل الذي أرادوا إجباره عليه هو اليوم درسنا الكبير ـ بالشرح الذي نقلناه حول تلك الشخصية العظيمة ـ[2].

---

(١) نهج البلاغة، كتاب: (٤١).

(٢) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٩/ رمضان/ ١٤١٦هـ.ق.

أمير المؤمنين عليه السلام الشخصية التاريخية المحبوبة

إن أمير المؤمنين عليه السلام من الوجوه الجذّابة في التاريخ، وقلّما يجد المرء شخصية تاريخية عشقتها البشرية وليس المسلمون وحدهم؛ كشخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهناك الكثير من غير المسلمين الذين لا يقرّون بالدين الإسلامي ولا بنبوّة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، يحبّون علياً عليه السلام ويحترمونه ويثنون عليه، ناهيك عن أنّ المسلمين وخاصّة الشيعة يكرّمونه ويعظّمونه في قلوبهم وأنفسهم وعقولهم.

يوجد بيننا نحن الشيعة وعامة المسلمين أشخاص لا يعملون بأحكام الإسلام إلاّ أنهم ينظرون إلى أمير المؤمنين عليه السلام بعين الإكرام والإجلال؛ وسبب ذلك يعود ـ طبعاً ـ إلى الخصائص والصفات الإنسانية العليا الكثيرة التي كانت فيه.

فكل من سمع عن علي عليه السلام شيئاً فهو ينظر إلى تلك الخصائص بكل إكبار، باستثناء طائفة واحدة تعرف علياً ولكنها تناصبه العداء، وتلك هي الطائفة التي تناهض المبادئ التي جاهد من أجلها هذا الإنسان العظيم وأنفق عمره من أجلها؛ فهي بطبيعة الحال تعادي جنديّها الأول، أو أولئك الذين نالهم في تلك الأدوار الأولى سيفه البتّار وصلابته التي تأبى التساوم مع كل ما هو سيّئ وقبيح، وإلاّ فإن المنصفين والمجبولين على فطرتهم الإنسانية مغرمون بهذه الشخصية العظيمة.

وهذا ينطبق ـ طبعاً ـ على من سمعوا شيئاً عنه، أما الذين لم يسمعوا عنه شيئاً فهم مستثنون من هذه القاعدة.

الاقتداء به عليه السلام عملياً

تجدر الإشارة هنا إلى نقطة أخرى وهي: إننا حينما نظر من بعيد إلى الشخصيات بما اجتمع فيها من خصائص إيجابية، فإننا غالباً ما نثني عليها، ولكننا عند الاقتراب منها، وعند معايشة قضايا التطبيق العملي والانقياد والولاء، نقع في المحذور.

وهذا واحد من عيوب أبناء البشر، ولو أنّ أهل الدنيا مالوا إلى مناصرة المظلوم الذي تجسّد في شخصه، وهبّوا لمناصرة الحقيقة التي تمثّلت فيه، ونهضوا لمقارعة الظلم كنهضته، واقتربوا عملياً ولو خطوة واحدة نحو تلك الخصائص، على قدر تعاطفهم مع عدل وإنصاف وشجاعة أمير المؤمنين عليه السلام، لأصبحت الدنيا روضة.

لكننا نحن بني الإنسان ـ من أمثالي ـ الذين نثني على أمير المؤمنين إلى هذا الحد، ليس من المؤكّد أننا نثني في حياتنا اليومية وفي أحكامنا العادية على أحد الأعمال التي نثني عليها في شخصية أمير المؤمنين، أو عند مشاهدة شخص يروم السير على نهج أمير المؤمنين، وإنّما تضطرم عليه قلوبنا ونهب لمواجهته، وإذا غلبتنا الشقاوة ـ لا سمح الله ـ نشهر بوجهه السيف.

وهذا هو موطن الخلل.

ولهذا فمن المناسب الإطلاع على التفاصيل الجزئية من خصائصه، بقدر الإطلاع على الجوانب المستخلصة من خصاله؛ كأن نطّلع على كيفية عدله، وكيف كانت عدالته التي نالت كل هذا الإطراء والثناء؟ وكيف كانت سيرته في الجانب العملي؟ ثم نحاول كخطوة لاحقة التقرّب منه في مجال الممارسة العملية. وهو أمر صحيح ويفضي إلى التكامل.

لابدّ وأنكم سمعتم ما ورد في بعض الروايات(١): أنّ أشخاصاً كانوا يأتون إلى الأئمة عليهم السلام ويقولون إننا شيعة لكم ـ كما ورد في رواية أن بعضهم جاءوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام نفسه وقالوا له ذلك ـ إلاّ أنّ الأئمة عليهم السلام كما تفيد هذه الروايات ـ كانوا يستنكرون ذلك منهم، ويقولون لهم: وأين وجه الشبه بينكم وبين شيعتنا وموالينا؟ فأنتم تتصفون بمثل هذه الخصائص والصفات والأعمال.

وبعبارة أخرى إنهم يطالبوننا بالعمل، والعمل يكون تابعاً للاعتقاد، وإن الإنسان يجب أن يكون لديه اعتقاد ما.

---

(١) بحار الأنوار، ج: ٦٨، ص: ١٩٢. كنز الفوائد، ج: ١، ص: ٨٩.

من الطبيعي أنّ الشعب الإيراني يجب أن يكون شاكراً لله تعالى على توفّر أجواء الإقتداء بأمير المؤمنين والالتزام بالإسلام في هذا البلد؛ فالغالبية العظمى من أبناء هذا الشعب تحدوهم رغبة قلبية للتوجّه صوب الحقيقة ـ وإن كان يوجد بينهم حالياً أشخاص لا يعملون بالفروع ـ بَيْدَ أنّ الأرواح والقلوب والمعتقدات تهفو صوب الاتجاه الذي يشير إليه أصبع أمير المؤمنين لهداية الناس.

رواية (الإرشاد) في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام)

وقع اختياري على رواية وردت في كتاب (الإرشاد)[١] للشيخ المفيد أودّ ذكرها هنا، إلاّ أنني نقلت نصّها من كتاب (الأربعون حديثاً) لسماحة الإمام الخميني (قدس سره) ـ وهو كتاب في غاية الحسن والفائدة ـ وطابقتها مع ما ورد في كتاب الإرشاد للشيخ المفيد.

يقول الراوي[٢]: كنّا عند الإمام الصادق (عليه السلام)، فجرى ذكر أمير المؤمنين ومدحه [الإمام الصادق (عليه السلام)] بما هو أهله.

لقد نظرت في الرواية، فوجدت أنّ كل فقرة في هذه الرواية تشير إلى بُعد من أبعاد شخصية أمير المؤمنين، كزهده، وعبادته، والأبعاد الأخرى التي سأقرؤها الآن.

فيمتدح الإمام الصادق (عليه السلام) ـ طبقاً للرواية ـ أمير المؤمنين هكذا:

«والله ما أكل علي بن أبي طالب (عليه السلام) من الدنيا حراماً قط حتى مضى إلى سبيله» أي أنه كان يتجنّب أكل الحرام، ويتّجنب المال الحرام، ويتجنّب المنال الحرام، والمراد طبعاً هو الحرام الحقيقي وليس الحرام المنجز حكمه بالنسبة له؛ أي أنه كان يبتعد حتى عما كان فيه شبهة، وقد وضعوا أمامنا هذه الأمور كتعاليم ومثالاً عملياً، والأهم من ذلك كمثال فكري.

وأقرّ الإمام الصادق والإمام الباقر والإمام السجّاد بأنهم لا يستطيعون العيش بالشكل الذي عاشه الإمام علي، فما بالك إذا وصل الدور لأناس، من أمثالي.

القضية لا تتعلّق بكيفية الحياة التي نريد أن نعيشها أنا أو أنت؛ فتلك الحياة هي قمة

---

(١) كتاب الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، للشيخ المفيد (٣٣٨ ـ ٤١٣هـ) فيه تواريخ الأئمة الطاهرين الإثني عشر (عليهم السلام) ومعجزاتهم وطرف من أخبارهم من ولاداتهم ووفياتهم ومدة أعمارهم وعدة من خواص أصحابهم وغير ذلك.

(٢) الإرشاد، ج: ٢، ص: ١٤١. باب: (٧) الحديث: ٤.

الحياة والإمام يشير إلى تلك القمة، وهذا يعني أنّ الجميع يجب أن يسيروا في هذا الاتجاه، ولكن من الذي يستطيع بلوغ تلك القمّة؟ الإمام السجاد نفسه قال في هذا الحديث: إنه لا يستطيع العيش بتلك الصورة.

«**وما عرض له أمران كلاهما لله رضاً إلاّ أخذ بأشدّهما عليه في بدنه**»، فإذا عرض له نوعان من الطعام كان يختار أدناهما، وإذا عرض له نوعان من الثياب كان يختار أردؤهما، وإذا عرض له عملان كلاهما حلال كان يختار أصعبهما عليه.

وهذا الكلام غير صادر من متحدّث عادي، وإنما المتحدّث هنا ـ كما تشير الرواية ـ هو الإمام الصادق، أي أنّ كلامه في غاية الدقّة، إذاً من المهم جداً التشدّد على الذات في الحياة الدنيا ومتاعها ونعيمها.

«**وما نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نازلة قط إلاّ دعاه فقدّمه ثقة به**»، أي أنّ الرسول متى ما ألمّت به مُلمّة كان يستدعيه وينتدبه لها ويقدّمه فيها؛ وذلك أولاً: لعلمه بأنه قادر على أدائها على أحسن وجه، وثانياً: إنه لم يكن يتمرّد على الأعمال العسيرة والمهام الشاقة، وثالثاً: كان على استعداد للجهاد والبذل في سبيل الله، ففي (ليلة المبيت)[1] مثلاً حين هاجر رسول الله سرّاً من مكة إلى المدينة، كان يجب أن يبات أحد في سريره، وهناك قدّم الرسول علياً، وفي الحروب كان الرسول يقدّمه أيضاً، وفي جميع القضايا الأساسية والمهمّة التي كانت تعرض للرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يقدّم لها علياً ثقة منه به.

والقضية هناك هي ليست مجرد ادّعاء يطلقه أشخاص حقراء وضعفاء من أمثالي، ونزعم أننا نريد العيش على هذه الشاكلة، وإنما القضية هي أننا يجب أن نسير في هذا الاتجاه.

---

(١) ليلة المبيت: هي الليلة الّتي بات فيها الإمام علي عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي الليلة التي هاجر فيها النبي الأعظم إلى المدينة عندما حاصر المشركون بيته صلى الله عليه وآله وسلم وأرادوا قتله.

والإنسان المسلم السائر على نهج علي، يجب أن يسير على هذا الخط، وأن يتقدّم إلى الأمام بأسرع ما يمكن.

ثم قال: «**وما أطاق أحد عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأمّة غيره، وإن كان ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنّة والنار**»، أي على الرغم من كل هذه الأعمال الإيمانية الكبرى كان سلوكه سلوك إنسان يعيش بين الخوف والرجاء؛ فهو كان يخشى الله وكأنه متأرجح بين الجنّة والنار «**يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه**»، وخلاصة هذا الكلام هي: أنه على الرغم من كثرة جهاده وبذله وعبادته إلاّ أنه لم يغتر بشيء من ذلك.

في حين إذا صلّى أحدنا ركعتي نافلة وقرأ بضعة جمل من الأدعية، وأراق دمعتين، يغتر بعمله الضئيل هذا ويتفاخر ويتصوّر نفسه وكأنه أصبح (طاووس العلّيين)، أما أمير المؤمنين فلم يغتر بكثرة عمله الصالح.

أما لماذا يخاف أشخاص كالرسول وكأمير المؤمنين والسجّاد ـ وهم الذين خلق الله الجنّة من أجلهم ـ نار جهنم ويستعيذون بالله منها، فهو بحث آخر.

نحن أناس صغار وضعفاء وقصيرو النظر ولا ندرك عظمة الله، ومثلنا في ذلك كمثل طفل صغير يلعب أمام شخصية علمية كبرى ويجيء ويذهب غير آبه لوجود هذه الشخصية؛ وذلك لأنه لا يعرف حقيقة هذه الشخصية، في حين تجد أنّ والداً ذلك الطفل الذي يفوق عقله عقل طفله مئة مرّة يتواضع لتلك الشخصية، وهكذا حالنا أمام الله تعالى؛ فنحن لا ندرك عظمته وكأننا أطفال أو كأننا أشخاص غافلون وأناس وضيعون.

أمّا الذين وصلوا من مرحلة العلم إلى مرحلة الإيمان، ومن مرحلة الإيمان إلى مرحلة الشهود، ومن مرحلة الشهود إلى مرحلة الفناء في الله، أولئك تتجلّى عظمة الله أمام أبصارهم بشكل تتضاءل أمامه قيمة كل عمل صالح يعملونه، ويشعرون على الدوام وكأنهم لم يعملوا عملاً صالحاً، وإنهم مدينون لله.

«**ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله والنجاة من النار مما كدّ بيديه ورشح منه**

جبينه» أي أنّ الأموال التي أنفقها على عتق أولئك المماليك لم يحصل عليها بالمجّان، وإنما حصل عليها بتعب يديه وعرق جبينه وبالعمل الشاق؛ سواء في عهد الرسول أم في فترة الخمسة وعشرين سنة، أم في عهد خلافته، إذ يستدل من بعض الآثار والدلائل أنه كان يعمل أيضاً في زمن خلافته؛ فكان يحفر القنوات ويحيي الأراضي ويزرعها ويحصل على المال من هذا الطريق ثم ينفقه في سبيل الله، فكان يشتري العبيد ويعتقهم، وأعتق على هذا المنوال ألف عبد.

«**وأنه كان ليقوت أهله بالزيت والخل والعجوة**»[١].

أي أنّ طعامه العادي الذي كان في داره هو الزيت والخل والتمر من الدرجة المتوسطة أو الرديئة، وكان طعامه يشبه الخبز واللبن أو الخبز والجبن في عرف مجتمعنا في الوقت الحاضر.

«**وما كان لباسه إلاّ كرابيس**[٢]**، إذا فضل شيء عن يده دعا بالجلم فقصَّه**».

أي أنه لم يكن يرتضي لنفسه حتى الزيادة في الأكمام، وإذا زاد القماش عن ذلك دعا بمقصٍ فقصّه؛ لكي يستخدم ذلك القماش في خياطة شيء آخر؛ لأن القماش كان قليلاً في ذلك العصر وكان الناس يواجهون مشكلة في الحصول عليه.

ثم تحدّث بعد ذلك عن عبادته، فقد كان عليه السلام قمّة الإسلام وأسوة للمسلمين، وجاء في هذه الرواية: «**ما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شبهاً به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين**». وذكر الإمام الصادق عليه السلام فصلاً في باب عبادة الإمام السجّاد، وقال من جملة ما قال: «**ولقد دخل أبو جعفر عليه السلام ابنه عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد**» وعلامة ذلك أن وجهه قد شحب من السهر واختالت عيناه من البكاء وورمت رجلاه؛ فتألم الإمام الباقر لما شاهده من حال أبيه، فقال: «**فلم أملك حتى رأيته بتلك الحال (البكاء) فبكيت رحمة**

---

(١) العجوة: ضرب من التمر، يقال هو ما غرسه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده (لسان العرب ١٥ / ٣١).

(٢) الكرابيس: جمع كرباس وهو القطن (لسان العرب: ٦ / ١٩٥).

له».

وكان الإمام السجاد متفكّراً ـ والتفكّر عبادة ـ فأدرك بالفراسة سبب بكاء ولده الباقر، فأراد أن يقدّم له درساً، فرفع رأسه وقال: «**يا بنيّ أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب**».

ويبدو أن هناك كتابات ومدّونات في باب قضاء أمير المؤمنين وحياته وأحاديثه كانت موجودة لدى الأئمة، ويستشف من مجموع الروايات الأخرى أنهم كانوا يرجعون إليها ويستفيدون منها في مواقف شتّى.

يقول الإمام الباقر (عليه السلام): «**فأعطيته، فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجّراً**». فالإمام السجاد يقدّم هنا درساً للإمام الباقر وللإمام الصادق، ويقدّم درساً لي ولكم، «**قال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب (عليه السلام)**».

الإمام السجاد كان يكثر من عبادة الله إلى الحد الذي جعل الإمام الباقر يرقّ لحاله ـ وليس مثلي ومثلكم فنحن نستعظم ما هو أقل من ذلك ـ فالإمام الباقر هو نفسه إمام وله مقامات رفيعة، إلاّ أنه يتألّم لكثرة عبادة علي بن الحسين ولا يطيق الصبر على البكاء فيبكي لا إرادياً، ومع كل هذا نجد علي بن الحسين مع كل عبادته يقول: «**من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب**»؟ أي أنه كان يرى بوناً شاسعاً بينه وبين علي.

حاجة البشرية لصفاته وخصاله (عليه السلام)

علي الذي نعشقه أنا وأنت، وتعشقه الدنيا، ويكتب المسيحي كتاباً عنه انطلاقاً من عشقه له، ويثني عليه حتى من لا يلتزم عملياً بأحكام الدين، لماذا تنظر له عن بعد؟ اقترب منه وانظر إليه عن كثب؛ كل من ينظر إلى قمة (دماوند)[1] عن بعد ينبهر بها،

---

(١) جبل داماوند يقع شمال إيران ووسط سلسلة جبال البرز، يبلغ ارتفاعه ٥٦٢٧ متر مما جعله من أعلى القمم في

ولكن يجب عليه أن ينطلق ويجتاز المنعطفات والمسالك الوعرة ويقترب إليها.

البشرية اليوم بحاجة إلى الخصال التي كان أمير المؤمنين رافع لواءها؛ لأنّها خصال لا تبلي بتقدّم العلم والتكنولوجيا، ولا تندثر بظهور أنماط جديدة من الحياة.

فالعدالة لا تُبلى، والإنصاف لا يُبلى، والدعوة إلى الحق لا تُبلى، ومقارعة الغطرسة والتجبّر لا تُبلى؛ وارتباط القلب بالله لا يبلى، لأن هذه الخصال ثابتة في فطرة الإنسان على امتداد التاريخ، وقد كان أمير المؤمنين رافعاً لواء هذه الخصال.

البشرية اليوم متعطّشة لهذا الكلام ولهذه الحقائق، فما هو الحل إذاً؟ الحل يكمن في الاقتراب والدنو، فلا نستكثر كلمة حق قلناها أنا وأنت هنا أو هناك؛ لأن هذا نهج علي، ولا نستكثر ساعة عَبَدنا الله بها في الليل أو النهار، ويداخلنا العُجب بأنفسنا؛ فعلي كان كذلك، ولا نستعظم موقفاً تقحّمنا فيه المخاطر؛ فعليّ كان كذلك، عليكم بالاقتراب من خصال علي جهد المستطاع.

يا أيّها الصائمون، يا أيّها المصلّون، يا مصلّو النوافل، أيها المجاهدون في سبيل الله، أيّها المتقحّمون المخاطر، أيّها الزهّاد في الدنيا، يا أسود النهار، وأيها العبّاد في الليل، هنيئاً لكم، فأنتم أقرب إلى علي، ويمكنكم أيضاً أن تكونوا أقرب فأقرب.

إذا كان العالم الإسلامي بل العالم كله يعترف لعلي بالفضل فذلك يُعزى إلى ما كان يتّصف به من زهد وعبادة وشجاعة وحزم في سبيل الله؛ فمتى ما اقتضت الحاجة كان يهوي بسيفه على أعداء الحقيقة وأعداء الدين وأعداء الله بلا خوف أو وَجَل، ولا تأخذه في الله لومة لائم، فإذا ما وجد شخص منحرف ومضر ومخلّ، في طريق السير إلى الله، كان لسيفه القول الفصل، ومتى ما كان هناك مظلوم ومسلوب الحق كان أمير المؤمنين يتحوّل إلى أرق إنسان وأعطف إنسان.

غربي آسيا وأوروبا، ويتألف جبل دماوند من سبعين فوهة بركانية وتنتشر على سفوحه قرى كثيرة متناثرة.

جاء في رواية أنّ أمير المؤمنين كان يكثر من إطعام الأيتام بِيَده إلى حد جعل أحد الأشخاص ـ ولابدّ أنه كان شاباً على سبيل المثال ـ يقول: يا ليتنا كنا أيتاماً حتى يكون أمير المؤمنين رؤوفاً بنا إلى هذا الحد.

وكان مجهولاً لدى الفقراء والمساكين والمحتاجين ولم يعرفوه إلاّ بعدما ضرب، أنه هو ذلك الشخص الرؤوف الذي كان يغشاهم وهم لا يعرفونه.

أما كلامه في نهج البلاغة فهو أفصح كلام إنسان عند العرب، ونهج البلاغة ذروة في الفن والجمال؛ جمال اللفظ وجمال المعنى، ويبهر العقول، ولم يستطع أي شاعر عربي كبير أو كاتب أو أديب عربي أن يقول بأنه غني عن الرجوع إلى نهج البلاغة.

وعلى كل حال، فقد فجع أهل الكوفة بالأمس بشهادته، ولم يشيّع جثمانه في الكوفة، ولم يجتمع الناس حول جثمانه.

ولعله كان يرى تسلّط الأعداء على الكوفة بعد ذلك بعشر سنين أو عشرين سنة، فما الذي جرى في الكوفة؟ فالذين داروا ببناته في أسواق الكوفة، ورفعوا رأس فلذة كبده على رؤوس الرماح، ما كانوا يتورّعون عن نبش قبره والتنكيل برمسه؛ ولهذا السبب بقي قبره مخفياً ولم يعثر عليه إلاّ بعد مضي مدّة طويلة[1].

علي ﴿عليه السلام﴾ مظهر العدل الإلهي

إنّ لمفردة العدالة ومفهومها موقعاً متميّزاً في حياة أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ وشخصيته، وبالرغم من اجتماع العديد من الخصال فيه ﴿عليه السلام﴾، إلاّ أنّ من أبرزها ـ وهي التي لازمته على الدوام ـ هي العدالة التي تنطوي على مفاهيم متعددة، وتتشعّب إلى شعب شتّى، اجتمعت كلها في وجود أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾، فهو مظهر العدل الإلهي.

---

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ٢٢/ رمضان/١٤٢٠هـ ـ ق.

لقد اقتضى العدل ـ الذي نعتبره من أصول الدين ـ أن يختار الله سبحانه شخصاً كأمير المؤمنين عليه السلام لإمامة الأمة وقيادتها؛ وهذا ما فعله الباري جلّت قدرته؛ فوجود أمير المؤمنين وشخصيته وتربيته وعظمته وبالتالي تنصيبه للخلافة كلّها مظهر للعدل الإلهي، ولقد تجسّدت العدالة بمعناها الإنساني بأكمل صورها في كيانه عليه السلام.

العدالة في بُعدها الفردي عنده عليه السلام

كان عليه السلام يجسّد العدالة الإنسانية ببعديها الفردي والاجتماعي؛ حيث تجلّت عدالة الإنسان في حدود حياته الفردية، وعدالته في مضمار الحكم والسلطة ـ تلك التي نطلق عليها العدالة الاجتماعية ـ في حياة أمير المؤمنين عليه السلام، وعلينا أن نعرف ذلك بنية تطبيقه عملياً، لاسيّما بالنسبة لأولئك الذين يتحمّلون المسؤوليات في المجتمع، ويتبوّءون موقعاً في الحكومة، فلقد تمثّلت العدالة الفردية بأعلى درجاتها في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، وذاك هو ما نعبّر عنه بالتقوى، تلك التقوى التي كان عليه السلام يجسّدها في عمله السياسي والعسكري وفي توزيعه لبيت المال استفادته من بمواهب الحياة واستثماره لبيت المال، وفي قضائه وجميع شؤونه؛ فالعدالة الفردية والذاتية للمرء تمثّل في واقع الأمر سنداً للعدالة الاجتماعية وصاحبة التأثير في العدالة على صعيد الحياة الاجتماعية.

ليس بمقدور من يفتقد للتقوى في ذاته وفي عمله، وهو رهين أهوائه النفسية وأسير للشيطان، الادّعاء بقدرته على تطبيق العدالة في المجتمع، فذلك محال؛ فمن أراد أن يكون مصدر إشعاع للعدالة في حياة الأمة، فلابد له ـ والحال هذه ـ أن يلتزم التقوى على صعيد نفسه أولاً؛ تلك التقوى التي أشرت لها في مستهلّ الخطبة، والتي تعني المراقبة للحيلولة دون الوقوع في الخطأ.

وهذا لا يعني أنّ الإنسان لن يخطئ، كلا، فلا مفرّ لغير المعصوم من ارتكاب الخطأ، وما هذه المراقبة إلاّ صراط مستقيم، وسبيل للنجاة تنتشل الإنسان من الغرق وتمنحه

القوة، والذي لا يمارس الرقابة على نفسه ويعاني من فقدان العدالة والتقوى على صعيد القول والفعل وحياته الشخصية لا قدرة له على أن يكون مصدراً للعدالة الاجتماعية في أوساط المجتمع.

لقد أعطى أمير المؤمنين عليه السلام درسه الخالد لكل الذين يمارسون دوراً على الصعيد السياسي لمجتمعاتهم، حيث يقول عليه السلام: «**مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ**»(١)، إذ بإمكان اللسان النطق بكثير من الأشياء، أما ما يأخذ بَيْدَ الإنسانية لسلوك صراط الله فهو سيرة وأفعال من يقع عليه الاختيار ليكون إماماً للناس، سواء على مستوى المجتمع أو أدنى مستوى من ذلك. ثم يقول عليه السلام: «**وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ**»(٢).

هذا هو منطق أمير المؤمنين عليه السلام ودرسه؛ فالحكومة ليست ممارسة للسلطة وحسب، بل هي نفوذ في القلوب واستقرار في العقول، فمن كان في هذا الموقع أو وضع نفسه فيه عليه بادئ ذي بدء أن ينهمك دوماً بتهذيب نفسه وإرشادها ومحاسبتها ووعظها.

من المواصفات التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام لمن يتمتع بالأهلية لإمارة الناس، أو تولّي مسؤولية قطاع من شؤونهم ـ وهذا ما يبتدئ من زعامة البلد ويسري إلى ما هو أدنى من الدوائر والمؤسسات، كما يصدق على القاضي أو المتصدّي لدائرة من دوائر هذا الجهاز الوسيع ـ وكان عليه السلام يوصي ولاته وقادتها بها، نجدها في قوله عليه السلام: «**فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ**»(٣). من هنا يأتي التلازم بين السلطة والأخلاق في الإسلام، فالسلطة إنما هي ظالمة غاصبة إذا ما خلت من الأخلاق.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة: ٦٨.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: (٨٦).

العدالة في بُعدها الاجتماعي عنده عليه السلام

ما تطرّقت إليه كان حول العدالة في إطار الشؤون الشخصية لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

أما عدالته عليه السلام على صعيد المجتمع، أي تطبيقه للعدالة الاجتماعية، فأمير المؤمنين عليه السلام يمثّل وصفة الإسلام الكاملة؛ إذ كانت حكومته إسلامية ١٠٠٪ وليست ٩٩٪ أو ٩٩،٩٩٪؛ فلم يخرج ما كان يصدر عن أمير المؤمنين عليه السلام وحدود صلاحياته وسلطته من تحرّك أو قرار عن صبغته الإسلامية؛ أي أنه العدالة المطلقة، وربما حصل في بعض الولايات التابعة لحكومة أمير المؤمنين عليه السلام أن مورست أعمال تتنافى مع العدالة، بَيْدَ أنه عليه السلام كمسؤول كان يشعر بتكليفه عندما يواجه مثل هذه الممارسات، فكانت كتبه وتحذيراته وخطبه وحروبه كلّها تصبّ في مجرى تطبيق هذه العدالة.

هذا هو تكليفنا، ولا أريد أن يتبادر إلى الأذهان الوهم بإمكانية أن يصل أمثالنا أو مَن هم أفضل منّا إلى مستوى أمير المؤمنين عليه السلام، كلا فهو عليه السلام المثل الأعلى والأنموذج الأصيل، فهو إنما يعد أنموذجاً من أجل أن يتحرّك الجميع باتجاهه، وإلا فإنه عليه السلام لا يرتقي إليه التشبيه أو مقارنة أحد إليه؛ فأولئك العظام الذين اجتباهم الله تعالى ومنحهم العصمة، سواء كانوا من الأنبياء أو الأئمة الأطهار عليهم السلام، هم نجوم تتلألأ في سماء المُلك والملكوت، وليسوا ممن يستطيع أمثالنا ـ بما هم عليهم من قدرات دانية وقابليات متواضعة ـ مضاهاتهم أو الوصول إليهم؛ إنهم الهداة، والإنسان إنما يتلمّس طريقه بواسطة النجوم[1].

---

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ٢٠/ ذي الحجة/ ١٤٢١هـ.ق.

الخصائص والصفات الظاهرية لشخصية الإمام علي (عليه السلام)

لو شئنا الاكتفاء بإيراد بضعة جمل بحق شخصية أمير المؤمنين وأعرضنا عن ذكر التفاصيل عن هذه الشخصية التاريخية الاستثنائية العظيمة ـ وهي تفاصيل لا تستوفيها الكتب ـ لقلنا: إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) يدخل في عداد الشخصيات المحبوبة اليوم وبالأمس، ليس بين الشيعة فحسب وإنما بين المسلمين كافة، بل وبين أحرار العالم قاطبة حتى من غير المسلمين، وقلّما تجد شخصية كبرى حتى بين الأنبياء الإلهيين حظيت ـ حتى بين غير أتباعها ومريديها ـ بمثل ما حظيت به شخصية أمير المؤمنين (عليه السلام) من الثناء والتمجيد.

لا شكّ في أنّ معرفتنا ضئيلة ورؤيتنا قاصرة، وإلا فهو (عليه السلام) ذو شخصية معنوية خارقة.

ونحن غير قادرين على استكناه كل أبعاد شخصيّته على الوجه الصحيح، وخاصة الجوانب المعنوية والإلهية منها، وهي جوانب يتعسّر فهمها حتى على الكثير من أولياء اللّه.

بَيْدَ أنّ الأبعاد الظاهرية لشخصيته كان لها من الجذابية والروعة ما جعلها تنال الإعجاب والحب، حتى لدى من لا يفهمون القضايا والأبعاد المعنوية للشخصيات الإنسانية وأولياء اللّه.

كان أمير المؤمنين يتّصف في مختلف أدوار حياته؛ سواء في مقتبل شبابه؛ أي في أوائل بعثة الرسول الكريم، أم في عنفوان شبابه؛ أي في الفترة التي وقعت فيها الهجرة إلى المدينة ـ وكان حينها شاباً في العشرين ونيّف من العمر ـ أم في مرحلة ما بعد رحلة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ حينما واجه تلك الابتلاءات والمحن العسيرة، أم في السنوات الأخيرة من حياته، أي في السنوات الخمس الأخيرة من عمره حين أخذ بزمام الخلافة

وتصدّى للمسؤولية، كان طوال هذه الخمسين سنة تقريباً، يتّصف بخصائص بارزة يمكن للجميع ـ وخاصة الشباب ـ استقاء الدروس منها.

غالباً ما تحمل الشخصيات التاريخية العظمى بعض الخصائص منذ شبابها، بل منذ صباها، أو أنها تخلق تلك الخصائص في ذاتها.

إنّ بروز الناس الكبار والمرموقين تقوم عادة على جهود طويلة المدى، وهذا ما نراه في حياة أمير المؤمنين.

فأنا ألاحظ من خلال استشراف المسار العام لحياته المليئة بالمنعطفات أنه كان يتحلّى منذ مطلع شبابه، وحتى شهادته بصفتين، هما: البصيرة والصبر (اليقظة والثبات)، فهو لم يقع ولا حتى لحظة واحدة فريسة للغفلة، وسوء الفهم والانحراف الفكري، أو الخطأ في فهم الحقائق.

فمنذ أن خفقت راية الإسلام بِيَد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انطلاقاً من غار حراء في جبل النور، وجرت على لسانه كلمة «**لا إله إلاّ اللّه**»، وصدح مبشّراً بالنبوّة والرسالة، استطاع علي بن أبي طالب تشخيص هذه الحقيقة الوضّاءة وثبت على موقفه ذاك وأَلِفَ كل ما نجم عن ذلك الموقف من مشاكل وصعوبات؛ فإنّ تَطَلّب جهداً، بذل له جهده، وإنّ تَطَلّب حرباً حارب من أجله، وإن استلزم تضحية، وضع روحه على طبق الإخلاص ونزل إلى الميدان، وإذا استدعى عملاً سياسياً ونشاطاً إدارياً وحكومياً، أدّاه خير أداء.

ولم يكن في معزل عن الوحي والبصيرة حتى لحظة واحدة.

الصفة الثانية هي الصبر والثبات؛ فقد تمسّك وثبت على هذا الصراط المستقيم.

ولاشك في أنّ الصبر والثبات والجهد الذي لا يعرف الكلل، وعدم مطاوعة الأهواء النفسية التي تميل بالمرء إلى التكاسل وترك العمل، تُعدّ صفات بالغة الأهمية.

أجل، إنّ عصمة أمير المؤمنين عليه السلام غير قابلة للتقليد، وشخصيته لا يمكن أن تقارن

بها شخصية أخرى.

وكل شخصية عرفناها في بيئتنا، أو في تاريخنا إذا أريد مقارنتها بشخصية أمير المؤمنين تكون كمقارنة ذرّة بالشمس ـ إذ لا وجه للمقارنة بينهما ـ بَيْدَ أنّ هاتين الصفتين اللتين كانتا في أمير المؤمنين عليه السلام يمكن تقليدهما والاحتذاء بهما.

فلا يمكن لقائل أن يقول: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يحمل صفتي الصبر والبصيرة انطلاقاً من كونه أمير المؤمنين.

فعلى الجميع السعي لاكتساب هاتين الصفتين والتقرّب بهما ـ كل حسب همّته وكفاءته ـ من أمير المؤمنين عليه السلام[1].

العناصر التي اجتمعت في شخصيته عليه السلام

إنّ ما أريد التحدث به عن هذا الرجل الفذ هو: أنّ شخصيته وحياته وشهادته التأمت فيها ثلاثة عناصر، تبدو غير منسجمة تماماً مع بعضها على الظاهر؛ وتلك العناصر الثلاثة هي عبارة عن: القوّة، والمظلومية، والانتصار.

فقوته تكمن في إرادته الصلبة وعزمه الراسخ، وفي تسيير دفّة الشؤون العسكرية في أعقد المواقف، وفي هداية العقول نحو أسمى المفاهيم الإسلامية والإنسانية، وتربية وإعداد شخصيات كبرى من قبيل مالك الأشتر وعمّار وابن عباس ومحمد بن أبي بكر وغيرهم، وشقّ مسار مميز في تاريخ الإنسانية.

ويتمثل مظهر قوّته في اقتداره المنطقي، واقتداره في ميادين الفكر والسياسة، وفي إقتدار حكومته وشدّة ساعده.

ليس ثمّة ضعف في شخصية أمير المؤمنين، في أي جانب من جوانبها، إلاّ أنه في

---

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٣/ رجب/ ١٤١٩ هـ.ق.

الوقت ذاته من أبرز الشخصيات المظلومة في التاريخ، وقد كانت مظلوميته في كل جوانب حياته؛ لقد ظُلم في أيام شبابه، حيث تعرّض للظلم حينذاك من بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وظُلم في سنوات كهولته وفي عهد خلافته واستشهد مظلوماً، وظل من بعد استشهاده يُسبّ على المنابر على مدى سنوات طوال، وتُنسب إليه شتّى الأكاذيب.

لدينا في تاريخنا الإسلامي شخصيتان أطلقت عليهما صفة ثار اللّه.

نحن لا توجد لدينا في اللغة الفارسية كلمة معادلة تماماً لكلمة «الثأر» في اللغة العربية؛ فعندما يُقتل شخص ظلماً فأسرته هي وليّ دمه، وهذا هو ما يسمّى بالثأر، ولأسرته حق المطالبة بثأره.

أما ما يسمّى بثار اللّه فهو تعبير قاصر وناقص لكلمة الثأر، ولا يوصل المعنى المطلوب.

فالثأر معناه حق المطالبة بالدم؛ فإذا كان لأسرة ما ثأر، فلها حق المطالبة به.

وورد في التاريخ الإسلامي اسما شخصيتين، وليّ دمهما اللّه، وهو الذي يطلب بثأرهما؛ أحدهما الإمام الحسين عليه السلام، والآخر هو أبوه أمير المؤمنين عليه السلام: «**يا ثار اللّه وابن ثاره**»، أي أنّ الطالب بدم أبيه هو اللّه تعالى أيضاً.

أما العنصر الثالث الذي طبع حياته عليه السلام فهو النصر؛ حيث تغلّب في حياته على جميع التجارب العصيبة التي فرضت عليه؛ ولم تستطع جميع الجبهات التي فتحها ضده أعداؤه أن تنال منه، وإنما تقهقرت كلها أمامه.

ومن بعد استشهاده أخذت حقيقته الناصعة تتجلّى وتتفتح يوماً بعد آخر أكثر ممّا كانت عليه حتى في أيام حياته.

ففي عالم اليوم، ليس العالم الإسلامي وحده وإنما العالم كله، هناك أناس كثيرون لا يؤمنون حتى بالإسلام، إلاّ أنهم يؤمنون بعلي بن أبي طالب كشخصية تاريخية لامعة.

وهذا هو جلاء ذلك الجوهر الوهّاج، وكأن اللّه يكافئه على ما لَحق به من ظُلم.

فلابدّ وأن لتلك الظلومية، ولذلك الكبت والضغط والتعتيم على ضوء الشمس، وتلك التهم الشنيعة، وما واجهها به من صبر، ثواباً عند اللّه، وثوابها هو أنك لا تجد على مدى التاريخ شخصية على هذه الدرجة من الإشراق ونالت كل هذا الإجماع في القبول.

ولعل أفضل الكتب التي اُلّفتَ ـ حتى اليوم ـ بحق أمير المؤمنين، كان أكثرها ولهاً وحبّاً هي تلك التي كتبها أشخاص غير مسلمين.

وتحتفظ ذاكرتي حالياً بأسماء ثلاثة كتّاب مسيحيين كتبوا بوَله حول أمير المؤمنين كتباً جديرة بالثناء حقاً؛ وهذا الحب نشأ منذ اليوم الأول، أي من بعد استشهاده، حيث تكالب الجميع على الإساءة إليه والانتقاص منه، من الطغمة التي كانت تحكم الشام ومَنْ كان يدور في فلكها، وممّن امتلأ غيظاً من سيف أمير المؤمنين ومن عدل أمير المؤمنين.

فكانت هذه القضية قد اتضحت منذ ذلك الوقت، وأنا أذكر هاهنا مثالاً واحداً على ذلك:

انتقص ذات يوم ابن عبد اللّه بن عروة بن الزبير من أمير المؤمنين عليه السلام، أمام أبيه عبد اللّه بن عروة بن الزبير.

وكان آل الزبير كلّهم ضد عليّ، إلاّ واحداً منهم وهو مصعب بن الزبير الذي كان رجلاً شجاعاً كريماً، وهو الذي دخل لاحقاً في صراع مع المختار الثقفي في الكوفة، ومن بعده مع عبد الملك بن مروان، وهو زوج سكينة؛ أي انه أول صهر للحسين عليه السلام.

كان آل الزبير ـ باستثنائه ـ كلّهم خصوماً لأمير المؤمنين عليه السلام أباً عن جدّ.

وهذا ما يدركه الإنسان من خلال دراسته للتاريخ.

وبعدما سمع عبد اللّه ذلك الانتقاص على لسان ابنه قال جملة ليست حيادية كثيراً، إلاّ أنها تنطوي على نقطة مهمة، وهي: «**واللّه يا بُني، ما بنى الناس شيئاً قطّ إلاّ هدّمه الدين،**

ولا بنى الدين شيئاً فاستطاعت الدنيا هدمه». أي أنهم يحاولون عبثاً هدم اسم أمير المؤمنين القائم اسمه على أساس الدين والإيمان، «**ألم ترَ إلى عليّ كيف تظهر بنو مروان من عيبه وذمّه، واللّه لكأنهم يأخذون بناصيته رفعاً إلى السماء. وما ترى ما يندبون به موتاهم من التأبين والمديح، واللّه لكأنّما يكشفون به عن الجيف**»[1].

لعل هذه الكلمة قيلت بعد حوالي ثلاثين سنة من شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، أي أنّ أمير المؤمنين وعلى الرغم من فداحة الظلم الذي نزل به، أضحى هو المنتصر في حياته، وفي التاريخ، وفي ذاكرة الإنسانية.

التيارات الضالة في زمن الإمام علي عليه السلام:

إنّ قضية قوّة أمير المؤمنين إلى جانب مظلوميته التي انتهت إلى هذا الحال يمكن تلخيصها في ما يلي: لقد اصطفّت ضد علي في أيام حكومته التي استمرت أقل من خمس سنوات، ثلاثة تيارات هي: القاسطون، والناكثون، والمارقون؛ إذ ينقل عنه السنّة والشيعة أنه قال: «**أمرت أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين**»[2]. وهذه التسمية هو الذي أطلقها على تلك الفئات الثلاث؛ فالقاسطون بمعنى الظالمين؛ لأن الفعل قسط حينما يأتي مجرداً: قَسَطَ يقسِط، بمعنى جار يجور، وظلم يظلم.

وحينما يأتي على صيغة الثلاثي المزيد على وزن أفعال: أقسط يُقسط، فمعناه العدل والإنصاف.

وعلى هذا، إذا استعملت كلمة القسط على وزن أفعال، تعني العدل، وإذا جاءت على صيغة قَسَطَ يقسِط فهي على الضد من ذلك؛ أي بمعنى الظلم والجور. فهو عليه السلام سمّاهم الظالمين.

---

(١) البيان والتبيين، الجاحظ: ج٢، ص ١٧٣.

(٢) دعائم الإسلام، ج: ١، ص: ٣٨٨ ، فصل ذكر قتال أهل البغي.

ولكن من هم أولئك القاسطون؟

القاسطون فئة دخلت الإسلام ظاهرياً لمصالحها الخاصة، ولم تكن تعترف بالحكومة العلوية أساساً، ولم تُجد نفعاً كل الأساليب التي انتهجها معها أمير المؤمنين، والتفّت تلك الفئة حول محور بني أمية الذي كان معاوية بن أبي سفيان ـ والي الشام آنذاك ـ أبرز شخصية فيه، ثم يأتي من بعده مروان بن الحكم والوليد بن عقبة.

شكّل هذا المحور جبهة رفضت التفاهم والاتفاق مع أمير المؤمنين.

ومع أنّ المغيرة بن شعبة وعبد اللّه بن عباس وغيرهم أشاروا على أمير المؤمنين منذ أول حكومته بالإبقاء عليهم في مناصبهم لبعض الوقت، غير أنه أبى عليهم ذلك، فذهبت بهم الأوهام إلى أنه لم يحسن اتخاذ الموقف السياسي المناسب.

ولكنهم هم الذين كانوا في غفلة كما برهنت الأحداث اللاحقة؛ لأن معاوية لم يأتلف مع أمير المؤمنين رغم كل الأساليب التي اتبعها عليه السلام لأجل هذه الغاية.

ولم يكن ذلك النهج ممّا ترتضيه حكومة كالحكومة العلوية، على الرغم من تحمّل السابقين لبعض هؤلاء.

كانت قد مضت أقل من ثلاثين سنة منذ أن أسلم معاوية إلى أن هبَّ لمحاربة أمير المؤمنين.

وكان هو وأذنابه قد حكموا الشام سنوات طويلة، وبسطوا نفوذهم فيها، وأسسوا لهم قاعدة واسعة هناك.

ولم تكن الأحوال آنذاك كما كانت عليه في الأيام الأولى التي كان بالإمكان أن يقال لهم فيها ـ إذا ما أظهروا الخلاف ـ إنكم دخلتم الإسلام تواً، ولا يحق لكم الخلاف.

فهم كانوا قد ثبّتوا لهم قدماً عند ذاك.

إذاً كان هذا التيار يرفض الحكومة العلوية جملة وتفصيلاً، ويرنو إلى نمط آخر من

الحكم يكون زمامه بيده، وهو ما ثبت عنهم فيما بعد وذاق العالم الإسلامي مرارة حكمهم.

فهذا معاوية نفسه، الذي كان في عهد صراعه مع أمير المؤمنين يُظهر الودّ والمحبّة لبعض الصحابة، أبدت حكومته فيما بعد أسلوباً في غاية العنف والشدّة حتى انتهى بها الحال إلى عهد يزيد وواقعة كربلاء، ومن بعده إلى زمن مروان وعبد الملك والحجاج بن يوسف الثقفي ويوسف بن عمر الثقفي الذين يعدّون من جملة نتائج تلك الحكومة.

ومعنى هذا أنّ الحكومات التي يهتزّ التاريخ لذكر جرائمها ـ كحكومة الحجاج على سبيل المثال ـ كان معاوية هو الذي أرسى أسسها وحارب أمير المؤمنين من أجلها.

فقد كانت غايتهم معروفة منذ البداية، إذ أنهم كانوا يبتغون حكومة دنيوية محضة تدور في فلك ذواتهم ومصالحهم الذاتية؛ وهي المظاهر التي شاهدها الجميع في حكومة بني أميّة.

وأنا طبعاً لا أريد الدخول هنا في أي بحث عقائدي أو كلامي.

والأمور التي أعرضها هنا من صلب التاريخ، وليس تاريخ الشيعة طبعاً، وإنّما تاريخ (ابن الأثير)(١) و(ابن قتيبة)(٢) وما شابه ذلك.

وهي نصوص مدوّنة ومحفوظة، وتدخل في عداد الحقائق المسلّم بها، وليس في إطار الاختلافات الفكرية بين الشيعة والسنّة.

الجبهة الثانية التي حاربت أمير المؤمنين هي جبهة الناكثين، والناكث هو: الناقض،

---

(١) عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (٥٥٥ ـ٦٣٠ هـ) المعروف بابن الأثير الجزري، مؤرخ إسلامي كبير، له التأليفات القيمة؛ الكامل في التاريخ، وهو في التاريخ العام. التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية. أسد الغابة في معرفة الصحابة. اللباب في تهذيب الأنساب.

(٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦ هـ/٨٢٨ ـ ٨٩٩ م) أديب فقيه محدث مؤرخ. له العديد من المصنفات أشهرها عيون الأخبار، وأدب الكاتب وغيرها.

والمراد به هنا: ناقض البيعة.

وهذه الفئة بايعت أمير المؤمنين في البداية إلاّ أنّها نقضت البيعة في ما بعد.

وكان أفراد هذه الفئة ـ على العكس من الفئة الأولى ـ مسلمين ملتزمين، وفي الخندق الموالي، إلاّ أنّ ولاءهم واعترافهم بحكومة علي بن أبي طالب كان منوطاً بإعطائهم حصّة مقبولة فيها، والتشاور معهم ومنحهم المناصب والمسؤوليات الحكومية، مع عدم التعرّض لِما في أيديهم من ثروات، وعدم السؤال عن مصادرها.

إذاً كانت هذه الفئة ترتضي حكم أمير المؤمنين، ولكن بشرط عدم المساس بمثل هذه الأمور، وأن لا يُقال لأحدهم من أين لك هذه الثروة؟ وكيف حصلت عليها؟ وما إلى ذلك؛ ولهذا السبب بايع أكثرهم منذ البداية، في حين أنّ البعض الآخر لم يبايع؛ فسعد بن أبي وقاص لم يبايع منذ البداية، إلاّ أنّ طلحة والزبير وأكابر الصحابة وغيرهم بايعوا أمير المؤمنين وأسلموا له القياد، بَيْدَ أنهم أدركوا بعد مضي ثلاثة أو أربعة أشهر عدم إمكانية الانسجام مع هذه الحكومة، التي لا تفرق في تعاملها بين القريب والبعيد، ولا ترى لذاتها ولا لأفراد أسرها أي امتياز، ولا تقرّ بأي امتياز للسابقين في الإسلام ـ وإن كان أمير المؤمنين نفسه أوّلهم إسلاماً ـ ولا تحابي أحداً في تطبيق الأحكام الإلهية؛ ولهذه الأسباب جنّدوا أنفسهم لمعارضة هذه الحكومة، وتسبّبوا في وقوع معركة الجمل التي كانت فتنة حقاً، واصطحبوا معهم أم المؤمنين، وقتل في هذه المعركة عدد كبير من المسلمين، وانتهت المعركة بانتصار أمير المؤمنين فأعاد الأمور إلى نصابها.

وهذه هي الجبهة الثانية التي شغلت أمير المؤمنين ردحاً من الزمن.

أما الجبهة الثالثة فكانت جبهة المارقين، والمارق بمعنى: الخارج والهارب؛ وقيل إنهم سموا بالمارقين لخروجهم من الدين كخروج السهم من القوس.

وكانت هذه الفئة متمسّكة بظواهر الدين، ويكثرون من التبجّح باسم الدين.

وهؤلاء هم الخوارج، الذين وضعوا أسسهم الفكرية على أساس فَهم مغلوط فيه للدين ـ وهي ظاهرة خطيرة طبعاً ـ ولم يأخذوا الدين عن علي بن أبي طالب الذي كان مفسراً للقرآن وعالماً بالكتاب.

أمّا تكتّلهم أو ما يسمى بالاصطلاح المعاصر «تحزّبهم» فكان يستلزم سياسة معينة، وكانت هذه السياسة تُوجّه من مكان آخر.

والسمة البارزة التي كانت تميّز أعضاء هذه الفئة هي أنك لا تكاد تتلفّظ بكلمة حتى يسارع أحدهم إلى الإتيان بآية من القرآن، وكانوا كثيراً ما يقرؤون أثناء صلاة الجماعة لأمير المؤمنين آيات معرضين به، أو يقومون عند منبره ويقرؤون آية فيها تعريض يقصدونه به، وكان شعارهم «**لا حكم إلاّ لله**»، بمعنى أننا لا نعترف بحكومتك، ونحن أتباع حكومة اللّه!

هذه الفئة، التي كان ظاهر أمرها على هذه الشاكلة، كان تنظيمها واتجاهها السياسي يجري وفقاً لآراء وتوجيهات كبار القاسطين والشخصيات البارزة في حكومة الشام ـ أي عمرو بن العاص ومعاوية ـ إذ كانت لهذه الفئة علاقات بأولئك الأشخاص؛ فالأشعث بن قيس، كما تشير الكثير من القرائن كان رجلاً غير نزيه.

واتبعت هذه الفئة طائفة كبيرة من البسطاء فكرياً.

إذاً الفئة الثالثة التي جابهت أمير المؤمنين ـ وانتصر عليها طبعاً ـ هي فئة المارقين التي وجّه لها ضربة قاصمة في معركة النهروان. ولكن كان لهم وجود في المجتمع، وفي ختام المطاف كان استشهاده على أيديهم.

وقد أشرت في خطبة سابقاً إلى أنه ينبغي أن لا يُشتبه في فهم الخوارج، فهنالك من يصف الخوارج بالتحجّر والتنسّك الجامد؛ ولكن المتنسّك يتّصف بالعزلة والانطواء على صلاته ودعائه، وهذا المعنى لا يصدق على الخوارج؛ لأن الخوارج عناصر متمرّدة تثير الأزمات، ولها وجود فاعل في الساحة، وتشنّ حرباً ضد علي، ولكن أساسها مغلوط،

وحربها خاطئة، وأساليبها مرفوضة، وغايتها باطلة.

هذه هي الفئات الثلاث التي جابهت أمير المؤمنين.

الفارق الأساسي بين أمير المؤمنين في عهد حكومته، وبين رسول اللّه في أيام حياته وعهد حكومته هو أن الخنادق كانت في عهد الرسول مميّزة ومفصولة تماماً؛ خندق الإيمان، وخندق الكفر.

أمّا المنافقون فكثيراً ما كانت الآيات القرآنية تشير إليهم وتحذّر منهم، وتقوّي صفوف المؤمنين في مواجهتهم، وتضعّف من شوكتهم.

أي أنّ كل شيء كان في النظام الإسلامي في عهد الرسول واضحاً تمام الوضوح، وكانت الصفوف مفروزة بشكل صريح؛ فطائفة على الجاهلية والكفر والطاغوت، وأخرى على الإيمان والإسلام والتوحيد.

ومن الطبيعي أنّ كل واحدة من هاتين الطائفتين كانت تضم صنوفاً شتّى من الناس، لكن الصفوف كانت مميزة وواضحة كل الوضوح.

مواجهته عليه السلام للمشاكل بصبر وبصيرة

أما في عهد أمير المؤمنين فكانت المشكلة الكبيرة في تداخل الصفوف والخنادق؛ وهذا هو السبب الذي جعل للفئة الثانية ـ أي الناكثين ـ وضعاً مقبولاً ومبرراً، وكان كل مسلم يتردد كثيراً في محاربة شخصيات من أمثال طلحة أو الزبير؛ فالزبير هو ابن عمّة الرسول وكان من الشخصيات البارزة والمقرّبة إليه، حتى أنه بعد عهد الرسول كان ممّن اعترضوا على السقيفة دفاعاً عن أمير المؤمنين، ولكن الأمور بخواتيمها. نسأل اللّه أن يجعل عاقبتنا إلى خير.

قد يؤثّر حبّ الدنيا ومظاهر الحياة في بعض الناس إلى درجة تجعل المرء يشك حتى في الخواص، فما بالك بالعوام.

وعلى كل الأحوال، كانت الظروف آنذاك عصيبة حقاً، ولابدّ أنّ الناس الذين صمدوا مع أمير المؤمنين وحاربوا إلى جانبه كانوا على قدر كبير من البصيرة.

وقد استشهدتُ عدّة مرّات بقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَلاَ يَحْمِلُ هذَا الْعَلَمَ إلاَّ أَهْلُ الْبَصَرِ والصَّبْرِ**»[١].

فلابدّ من توفّر البصيرة بالدرجة الأولى.

ويُستدل من هذه التداخلات على طبيعة المشاكل التي واجهت أمير المؤمنين، وعلى الأساليب الملتوية التي اتبعها الناس الذين حاربوه.

في صدر الإسلام كانت هناك أفكار خاطئة كثيرة تطرح في الساحة، ولكن كانت تنزل آية قرآنية تفنّدها بصراحة؛ سواء وقتما كان النبي في مكّة أم في المدينة؛ فسورة البقرة ـ على سبيل المثال ـ وهي سورة مدنية، حاشدة بصور من التحدّيات والاشتباكات بين الرسول والمنافقين واليهود؛ حتى أنها تناولت التفاصيل الجزئية واستعرضت الأساليب التي كان يتبعها يهود المدينة في إيذاء الرسول نفسياً، ومنها ﴿**لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا**﴾[٢] وما شابه ذلك.

وجاءت أيضاً سورة الأعراف وهي سورة مكيّة زاخرة بمحاربة الخرافات وكُرّس فصل منها للحديث عن تحريم وتحليل أنواع اللحوم، في مقابل التحليل والتحريم الزائف الذي اصطنعه الناس لأنفسهم يومذاك: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾[٣].

هذه هي المحرمات الحقيقية، وليست تلك التي اصطنعتموها أنتم لأنفسكم من أمثال البَحيرة والسائبة وما شاكل ذلك.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: (١٧٣).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

وكان القرآن يحارب هذه الأفكار صراحة.

أما في عهد أمير المؤمنين، فقد كان أعداؤه يستغلّون تلك الآيات القرآنية؛ وهذا ما صعّب كثيراً من مهمة أمير المؤمنين.

لقد قضى أمير المؤمنين مدّة خلافته القصيرة في أمثال هذه المصاعب والمعضلات.

وفي مقابل هؤلاء كانت جبهة علي، وهي جبهة قوية حقاً، وفيها رجال كعمّار ومالك الأشتر وعبد اللّه بن عباس ومحمد بن أبي بكر وميثم التمار وحجر بن عدي، وكانوا رجالاً مؤمنين ذوي بصيرة ووعي، وكان لهم دور مؤثّر في توعية الناس الآخرين.

كان من جملة المواقف الجميلة في عهد أمير المؤمنين ـ ويُعزى جمالها طبعاً إلى الجهود الطيّبة لهؤلاء العظماء، إلاّ أنها في الوقت ذاته كانت مريرة بسبب ما لحقهم من جرّائها من عناء وعذاب ـ هو مسيرهم نحو الكوفة والبصرة من بعد ما هبَّ طلحة والزبير وغيرهما واستولوا على البصرة وأرادوا المسير منها نحو الكوفة، حيث أرسل أمير المؤمنين الإمام الحسن وبعض هؤلاء الأصحاب، وكان لهم مع الناس في المسجد مداولات وأحاديث ومحاجّات تعتبر من المواقف المثيرة وذات المغزى العميق في تاريخ الإسلام؛ ولهذا السبب يلاحظ أنّ الهجمات الأساسية لأعداء أمير المؤمنين وجّهت صوب هذه الشخصيات؛ ضد مالك الأشتر، وضد عمار بن ياسر، وضد محمد بن أبي بكر، وضد كل من وقفوا إلى جانب أمير المؤمنين منذ البداية وأثبتوا صلابة إيمانهم وسلامة بصيرتهم.

ولم يتورّع الأعداء عن كيل أنواع التهّم لهم والسعي لاغتيالهم؛ ولهذا قضى أكثرهم شهداء؛ فاستشهد عمار في الحرب، واستشهد محمد بن أبي بكر بتحايل أهل الشام، وكذا استشهد مالك الأشتر بحيلة من أهل الشام.

وبقي البعض الآخر منهم إلى أن استشهدوا على نحو قاس وفجيع.

هذه هي الظروف التي عاشها أمير المؤمنين في حياته وفي عهد حكومته.

ولو أردنا الخروج بنتيجة ملخّصة عنها لقلنا: إنها كانت حكومة قوية، ولكنها في الوقت ذاته مظلومة ومنتصرة.

بمعنى أنه استطاع قهر أعدائه في أيام حياته، واستطاع من بعد استشهاده مظلوماً أن يتحوّل إلى شعلة وهّاجة على مدى تاريخ الإنسانية.

ولاشكّ في أنّ المرارة التي ذاقها أمير المؤمنين خلال هذه الفترة تعتبر من أشد وأصعب المحن في التاريخ.

...رُوي عن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال بعد يوم واحد من جرح أبيه، أو بعد يوم من استشهاده أنه كان يتحدث مع أبيه بمناسبة ذكرى معركة بدر فقال له أبوه: «**مَلَكَتْني عَيْني، فَسَنَحَ لي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَاذَا لَقِيتَ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الأَوَدِ وَاللَّدَدِ؟ فَقَالَ: ادْعُ عَلَيْهِمْ، فَقُلْتُ: أَبْدَلَنِي اللهُ بِهِمْ خَيْراً لي مِنْهُمْ، وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي**»[(١)].

واستجاب اللّه دعاء أمير المؤمنين بعد يوم واحد، وضرب على رأسه صبيحة التاسع عشر من رمضان، ونُكبت الأمة الإسلامية باستشهاده.. وفَقَد الناس علياً، وذاقت الأمة الإسلامية بعد فقده ما ذاقت.

وتحمّلت الكوفة بلايا عظاماً، وتسلّط عليها الحجّاج، وتسلّط عليها يوسف بن عمر الثقفي، وتسلّط عليها، بدلاً من أمير المؤمنين، الحكّام الأمويون واحداً تلو الآخر.

وكان الناس هم السبب في هذه المصائب التي حلّت بالكوفة[(٢)].

مزايا أمير المؤمنين عليه السلام

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام في شخصيته مظهراً لمزايا ما لو جسّدناها نحن في أقوالنا وأفعالنا لبلغ مجتمعنا الإسلامي ذروة مجده وسؤدده، فمن السهولة لأي شعب طيّ

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: (٦٩).

(٢) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ٢٠/ رمضان/ ١٤١٩هـ ق.

طريقه نحو المجد والرقي وإصلاح دنياه وآخرته، ولا وجود للطريق المسدود أمام مَن آمن بالله وبرسالة الإنسان، وبوسع أي شعب إزالة ما يعترض طريقه نحو السمو والتكامل من معضلات وعثرات، وذلك مشروط بأن تتوفّر فيه تلك المزايا الضرورية لذلك التحرّك العظيم الشامل؛ تلك المزايا التي كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مظهراً لها؛ إذ كان (عليه السلام) مظهراً للتقوى والأمانة بالإضافة لصدقه وصراحته، فبالرغم من أنه (عليه السلام) كان سياسياً وزعيماً للأمة الإسلامية ويتولّى إدارة شؤون عشرات الملايين من المسلمين في ذلك الزمان الذي كان يخلو من وسائل الاتصال الحديثة، ولكن سياسته لم تؤدّ به إلى مجانبة سبيل الصراحة والصدق، بل كان (عليه السلام) صادقاً صريحاً يقول ما يؤمن به، ويدلّ عليه عملياً؛ وهذا ما جعل كلماته تبقى على مدى التاريخ نبراساً يستنير به أعلام الفكر في العالم.

لم يستبطن أمير المؤمنين (عليه السلام) أيّاً من أفعال السياسيين ـ سواء في عصرنا هذا أو على مرّ التاريخ ـ أو ما يتلفّظون به من أقوال ترددها ألسنتهم دون أن تعتقد بها قلوبهم، وما يتظاهرون به نفاقاً وهو معاكس لِما تضمره بواطنهم.

انظروا إلى ما يطلقه أرباب السياسة من كلمات برّاقة جذّابة حيث ينادون باسم الإنسان وحقوقه، وحاكمية الشعب، والسلام، والقداسة، غير أنّ أيّاً من هذه الحقائق لا وجود لها في داخلهم أو على الصعيد العملي. ومثل هذا الواقع كان موجوداً قبل عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) وكذلك في يومنا هذا، بَيْدَ أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ تلك القمة الإنسانية السامقة ـ عمل بما يعاكس غالبية أرباب السياسة في هذا المضمار.

لقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) ينادي باسم الأمة؛ لأنه كان نصيراً واقعياً للأمة وضعفائها، ومن سجاياه الأخرى العطف على الضعفاء والتصلّب والصرامة إزاء الأقوياء وبغاة الباطل، وقلّة الاستفادة من الثروات العامة، فمن كان يرى في بيت مال المسلمين ملكاً عضوضاً ـ سواء صرّح بذلك أم لا، أو كان عمله يوحي بذلك بحيث يأكل ما يشاء ويهب ما يشاء ويوظّفه لأغراضه الشخصية ـ لا قدرة له على الادّعاء بتبعيته لعلي (عليه السلام)، وواجبنا الالتزام

بالنهج العلوي في كل هذه الحقول، وذلك يتمثّل في العمل الكثير مع قلّة الاستفادة.

فلقد كان أمير المؤمنين عليه السلام متواجداً في وسط الساحة ومثابراً على العمل، سواء في الفترة التي تولّى فيها أمر الحكومة، أو عندما كان يعيش العزلة التي فرضوها عليه، ولم يمرّ وقت على علي عليه السلام أصبح فيه جليس الدار زاوياً عن الأمة والمجتمع، فليس ذلك من سجاياه أبداً.

وميزته الأخرى عليه السلام كانت الارتباط بالله سبحانه، وأنّ ألسنة القاصرين أمثالي عاجزة حتى عن النطق ببيان ما هو إجمالي عن عبادة ذلك الرجل العظيم، فعندما يذهل الإمام السجاد عليه السلام ـ وهو زين العابدين ـ أمام عبادة أمير المؤمنين عليه السلام لا خيار أمامنا سوى التزام الصمت.

ومن مزاياه أيضاً تعبئة الطاقات في سبيل الحق ومواجهة الباطل، فلا يجوز لأحد القول: لماذا تعبّئون الأمة وتؤججون مشاعرها ضدّ الاستكبار، وما يرتكبه من مظالم، وضد مرتزقة أعداء الله، فإن تلك ميزة اتّصف بها أمير المؤمنين عليه السلام، فعلينا نحن أيضاً أن نصنع كما صنع أمير المؤمنين عليه السلام فنعبّئ كل الطاقات، كل القلوب، كل الأبدان والإمكانيات في سبيل الحق ومواجهة الباطل.

وامتاز عليه السلام أيضاً بمقارعة ذوي الظواهر المقدسة المتحجّرين الخاوين، فلقد تصدّى أمير المؤمنين عليه السلام ـ ذلك العابد الزاهد الذاكر الذي احتفظت ذاكرة نخيّلات الكوفة بصراخات أدعيته ومناجاته إلى الأبد ـ لأولئك الذين أرادوا التسلل بكيانهم الشخصي إلى نفوس الناس عن طريق التقدّس والعبادة المتحجّرة الخاوية؛ هؤلاء الذين حتى لو توفّروا على الإخلاص فإنهم قد عطّلوا سائر الأبعاد في شخصياتهم وشخصيات الآخرين، فلقد كان أمير المؤمنين عليه السلام ينطق بلب الحقيقة، سواء تطابقت مع أذواق مختلف التيارات أم لا، وسواء اتفقت مع مذاق أولئك الذين يتشبّثون بالظواهر تاركين الباطل أم لا، وانسجمت مع ميول الذين يريدون تفسير الدين وفقاً لآرائهم الشخصية أم لا.

هؤلاء جميعاً كانوا في زمن أمير المؤمنين عليه السلام والتاريخ يذكر نماذج لهم، أما إسلام أمير المؤمنين عليه السلام فهو إسلام زاخر بالذكر والحيوية والنشاط والتحرّك والبناء والجهاد والتضحية والإيثار، وحيث إننا نشاهد مثل هذه النماذج في وقتنا الراهن فذلك مما يعني أنّ هنالك مسؤولية تقع على عواتقنا[١].

علي عليه السلام سيد المتقين

ورد في الرواية التي نقلها المرحوم المجلسي عن مصباح المتهجّد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب في إحدى الجمع، وافتتح خطبته بحمد اللّه والثناء عليه بأبلغ وأعمق وأجمل الكلمات، ثم صلى وسلّم على محمد رسول اللّه، خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم وشهد له بالنبوّة والعبودية للّه، ثم أعقب ذلك بخطبة بليغة، نورد فيما يلي مقاطع منها.

قال أمير المؤمنين: «**أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه، واغتنام طاعته ما استطعتم في هذه الأيام الفانية، وإعداد العمل الصالح لجليل ما يشفي به عليكم الموت**»[٢].

أي عليكم الاستعداد بالعمل الصالح للمصائب والأهوال الكبرى والمجهولة التي ستحلّ بكم في عالم ما بعد الموت.

فالموت حادثة عظمى، كان العظماء والأولياء يرتعشون خوفاً منها؛ لأن الحوادث التي تواجه الإنسان بعد الموت لها عظمة وخشية لا تطاق.

وهناك طريق واحد لمقابلة هذه المصاعب والشدائد الكبرى التي كان عباد اللّه وأولياؤه الصالحون يخشونها؛ بسبب ما لديهم من خبرٍ عنها على وجه العموم، وذلك هو العمل الصالح لوجه اللّه؛ لأن الشيء الوحيد الذي يغيث الإنسان هناك هو العمل الصالح.

«**وآمركم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم**»، فهو عليه السلام أمير معنوي وأمير مادي، وأمير

---

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ٢٥/ ذي الحجة/ ١٤٢١هـ.ق.

(٢) بحار الأنوار، ج: ٨٦ ، ص: ٢٣٧.

ظاهري وأمير باطني، وأمير الأجسام وأمير الأرواح؛ ويأمر الناس بترك زخارف الدنيا، وعدم الاستغراق في شؤونها المادّية؛ لأنها «**الزائلة عنكم، وإن لم تكونوا تحبّون تركها، والمبلية لأجسادكم وإن أحببتم تجديدها**».

فهذه الدنيا تبلي أجسادكم وتضعفكم وتعدم قواكم، حتى وإن كنتم ترغبون في بقاء هذه القوى على الدوام.

«**فإنّما مثلكم ومثلها كركب سلكوا سبيلاً فكأنهم قد قطعوه وأفضوا إلى علم فكأنّما بلغوه، فلا تنافسوا في عز الدنيا وفخرها، ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها، ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها، فإن عزها وفخرها إلى انقطاع، وإن زينتها ونعيمها إلى ارتجاع، وإن ضراءها وبؤسها إلى نفاذ، وكل مدّة منها إلى منتهى، وكل حيّ فيها إلى بلى**».

كان أمير المؤمنين يحيي الأرض بنفسه ويزرعها، ويحفر البئر.

وقد تحدّث بهذا الكلام في وقت كان فيه حاكماً على دولة تمتد حدودها من بلاد ما وراء النهر إلى البحر الأبيض المتوسط.

فهو كان يدير دفة شؤون الدولة، ويهتم بشؤون الحرب والسلم والسياسة وبيت المال وغيرها من نشاطات البناء الأخرى.

وكلامه هذا لا يدعو فيه إلى عدم إعمار الدنيا، وإنما يعني به أن لا يجعل الإنسان ذاته محوراً لجميع الأعمال والنشاطات المادية، ولا تنفقوا كل الطاقات لأجل أنفسكم ولا تَحوّلوا الدنيا إلى جحيم من أجل نصيبكم من الحياة، ولا تكدروا عيش الآخرين لأجل المال والمنال والرفاه والراحة.

عليكم بالتقوى، أي عليكم بالحذر؛ لئلا يكون في أي عمل أو قول أو قرار يصدر عنكم ضرر يلحق بالإنسانية وبالمجتمع، ولا تكون فيه إساءة إلى أُخراكم أو انتقاص من دينكم.

هذا هو معنى التقوى، وفي كل جمعة يكرر إمام الجمعة مخاطبة الناس ومخاطبة نفسه بالقول: «**أوصيكم ونفسي بتقوى اللّه**».

كلنا بحاجة لسماع مثل هذه الوصايا؛ وهذه من جملة الأمور التي تعطي لصلاة الجمعة أهميتها[١].

معالم الحكومة العلوية

ثمة طائفة من خصال أمير المؤمنين عليه السلام وهي خصاله المعنوية والملكوتية التي نقصر حتى عن فهمها؛ فمقامه العلمي والمنزلة النورانية والقداسة التي كانت لديه؛ والحقائق التي كان يعمر بها كيانه وقلبه النوراني وتتدفّق على لسانه المبارك حِكَماً، والقرب من الله وذكر الله الذي كان يكلّل فعله وقوله وكافة أحواله، وأمورٌ مِن قبيل فطرته النورانية، لَهي ممّا يتعذّر فهمها بالنسبة لنا، وإننا نؤمن بها ونفتخر بها؛ لأننا سمعناها عن الصادق المصدَّق.

ولكن ثمة طائفة أخرى من خصوصيات أمير المؤمنين تصوغ منه أسوة وأنموذجاً بالنسبة للبشرية قاطبة تحتذي به على مرّ التاريخ، وإنّ الأسوة وسيلة ومعيار وميزان يقاس بها العمل الذي يروم الإنسان القيام به.

إنّ هذه الأسوة لا تختص بقومٍ معيّنين، وهي لا تقتصر على المسلمين أيضاً، وإنكم إذ تشاهدون مدى جاذبية أمير المؤمنين عليه السلام على مرّ التاريخ؛ إنّما بسبب هذه الخصال؛ لذا فحتى من لم يرتضِ الإسلام أو لم يصدِّق بإمامته عليه السلام يشعر في داخله بالتعظيم لهذه الخصال، وينطلق لسانه مثنياً عليها شاء أم أبى. لذلك فإن هذه الخصال أمثولة الجميع؛ ونحن إذ نقيم الآن حكومة إسلامية وندّعي الحكم العلوي فإننا نفوق سوانا إلحاحاً وحاجة لهذه الأسوة وتمسّكاً بها.

---

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ٩/ رجب/ ١٤١٩ هـ ـ ق.

فإننا إذ رفعنا راية الولاية العلوية في هذه البقعة من العالم، علينا أن نرى ما هو خطابنا، وما الذي نروم تقديمه للإنسانية، وأي إطار نرسمه لإسعاد البشرية ونتمسّك به ونرفعه؟ وخيرُ أسوة هنا أمير المؤمنين عليه السلام؛ فلا يصح المناداة باسم أمير المؤمنين علي وإظهار المحبة والمودة باللسان فقط، ومخالفة فعله والدرس الذي علّمنا إيّاه في قوله وعمله على صعيد العمل.

إنّ مسؤولية كوادر الحكومة ـ أي أنا وأمثالي ـ أشدّ ثقلاً؛ لأننا نحن الذين يجب أن نعمل ونقتفي الدرب الذي سلكه.

وربما يقول البعض: أين أنتم من أمير المؤمنين عليه السلام؟ فأين أنتم من قدرته وقوّته وإيمانه وصبره وصلابته الروحية؟ وهذا الكلام ـ بطبيعة الحال ـ صائب؛ فليس منّا من يرقى للمقارنة معه عليه السلام.

ولا يصح القول: هو الأفضل والأرفع ونحن الأدنى، فهذه المقارنة خاطئة من الأساس؛ إذ هو عليه السلام في علياء الذرى ونحن نقبع في أعماق الثرى نتخبّط في دوامة حولنا.

إنّ المسافة بعيدة جداً، ولكن من الممكن اختيار المسار؛ فعلينا أن نقترب من الهدف، والغاية التي كان يستهدفها، كلٌّ حسب طاقته وبما يقتضيه زمانه، ولكن بذات الدرب وذات الهدف؛ وهذه القضية على قدر من الأهمية.

لعل من الحكومات التي جاءت إلى الحكم في العالم الإسلامي على مدى اثني عشر أو ثلاثة عشر قرناً مَنْ كانوا يعظّمون اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعتبرون أنفسهم خلفاء له، وكانوا على استعداد لقتل من يقول لهم: لستم خلفاء رسول الله، لِمْا كانوا يدّعون من خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بدءاً من خلفاء بني أمية ومروراً بخلفاء بني العباس الذين حكموا ما يقربُ من خمسمائة إلى ستمائة عامٍ، ومن ثمة الخلفاء الفاطميين في مصر وشمال أفريقيا، وتلاهم خلفاء الدولة العثمانية الذين حكموا في آسيا الصغرى، أي تركيا الحالية

حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى، حيث كانت عاصمة حكومتهم فيها، فيما كانت الدول العربية الحالية بأجمعها تقريباً تخضع لحكومتهم، وكان هؤلاء جميعاً يحملون اسم الخليفة الذي يعني خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم! والبعض تجاوز بخطوة أكثر حيث كانوا يدّعون أنهم خلفاء الله قائلين: نحن خلفاء الله! نوّاب الله! كان هذا لقبهم، ولكن ما كان عملهم؟ كان عملهم على شاكلة الحكومات الملكية الظالمة التي سادت الدنيا قبلهم وعاصرتهم أيضاً في مناطق أخرى، وتلتهم مثل هذه الحكومات في أرجاء العالم حتى يومنا هذا.

كان الاسم خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بَيْدَ أنّ النمط والعمل والسلوك كان شيئاً آخر.

مَنْ هم هؤلاء، وما الاسم الذي يليق بهم؟ إنه اسم (منافق!) أي مَنْ يدّعي شيئاً، ويعد بشيء، ويرفع راية باسم شيء معيّن، لكنه في سلوكه وعمله ومنهجه لا يلتزم بذلك الشيء، فثمة أمر آخر وعمل آخر يتحكّم بفعله وخطّه؛ هذا هو المنافق، فهل نُزمع أن نكون كذلك بحيث نلوّح براية الولاية العلوية والحكم العلوي والتبعية لأمير المؤمنين عليه السلام لكننا نساوق حكومتنا مع الأنظمة التي تتنافى تماماً مع خط علي وفكره ومنطقه؟! فمنها من يخالفه ١٠٠٪ وبعضها ٩٠٪ والبعض الآخر ٨٠٪ وترتكز في عملها على أساس آخر؛ لذا يتعيّن علينا أكثر من الآخرين التمسّك بالأنموذج ومعرفته واتخاذه ملاكاً؛ فما هي معالم الأنموذج العلوي في الحكم؟ إنّ هذه المعالم يجب الإلتزام بها.

كما يتعيّن على الجماهير مراقبتنا؛ فإذا ما وجدتنا نلتزم بمعالم الحكم العلوي ـ بما تسعه طاقتنا ـ فلتتقبّل حينها أننا حكومة تسير في خط علي. أما إذا لمست منّا عدم الالتزام بتلك المعالم، أو أننا نعمل بما يعاكسها ـ وليس الحديث هنا أننا نقل قدرةً عن علي، وإنما عدم امتلاكنا الإرادة في اقتفاء خطّه ـ إذ ذاك فلترفض خطابنا ومزاعمنا ولتقُل: إنّ هذه الحكومة ليست علوية، وليست هي من ولاية أمير المؤمنين في شيء.

وهذا هو الملاك الذي لابدّ أن يؤخذ بنظر الاعتبار، ولكن ما هي هذه المعالم يا تُرى؟

لو أردنا إيضاح معالم حكومة أمير المؤمنين عليه السلام فربما يمكن الحديث عن عشر معالم مهمة، أشير إلى بعضها هنا:

الأولى: التمسّك التام بدين الله والإصرار على إقامته، فأيّما حكومة لا يقوم أمرها على أساس إقامة الدين فليست حكومة علوية.

في خضمّ الحرب ـ وأولئك الذين كانوا وسط الميدان أثناء فترة الدفاع الذي استمر ثماني سنوات يعرفون ما أقول ـ ووسط ذلك المعترك، حيث كان كل مقاتل وجندي يصبّ جلّ اهتمامه على كيفية شنّه الهجوم أو الدفاع عن نفسه، جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فسأله عن قضية تخص التوحيد قائلاً: ما المراد من كلمة (أحد) في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾؟ وهذه ليست بقضية جوهرية، فهو لم يسأل عن وجود الله، وإنما سأل عن قضية ثانوية.

فهمَّ به المحيطون بأمير المؤمنين عليه السلام قائلين: أهوَ وقت سؤال؟! فقال عليه السلام: دعوني أُجبه، فإنما نحن نقاتل لأجل هذا[١]؛ أي أنّ قتال أمير المؤمنين وسياسته ومجابهته وحرقة قلبه وكافة الخطوط الأساسية التي اختارها لحكومته كانت من أجل إقامة دين الله؛ وهذا أحد المعالم.

ولو كان الأمر في النظام الإسلامي والجمهورية الإسلامية التي تتخذ من الحكم العلوي عنواناً لها، أن لا يكون الهدف إقامة دين الله؛ عَمِلَ الناس بدين الله أو لم يعملوا، آمنوا به أو لم يؤمنوا، أقيم الحق أو لم يُقم، ونقول ما شأننا نحن، إذ ذاك لا تعدّ هذه الحكومة علوية؛ فإقامة دين الله هي أول المعالم، وهي أمّ سائر الخصوصيات في حياة أمير المؤمنين وحكومته، ومنها تنبثق عدالته وتعود إليها حاكمية الأمة ومداراة الناس التي تميّزت بها حياة أمير المؤمنين عليه السلام.

الخصوصية الثانية والمعلم الثاني في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام هي: العدالة

---

(١) وسائل الشيعة، ج: ٤ ، ص: ٢٤٦ ، باب: ٤١ من أبواب المواقيت الحديث الثاني.

المطلقة؛ أي أنه لم يؤثر مصلحته الشخصية وأية سياسة تمسّ شخصه على العدالة قط: «**والله لا أطلب النصر بالجور**»[١]. فانظروا أيّ لوحة زاهرة هذه وأي بيرق سامٍ هذا؛ فلربما يقال لك: إنك المنتصر في ميدان السياسة أو التنافس العلمي أو الانتخابات أو ساحة الحرب، ولكن ذلك منوط بأن تمارس الظلم؛ فأيهما تختار يا ترى؟ إنّ أمير المؤمنين يرفض هذا النصر، ويقولك لا ضير في أن أُهزم، ولكن لا أظلِم.

والمحور في كل ما سمعتموه حول أمير المؤمنين عليه السلام من كلام بشأن العدالة هو دعوته المطلقة للعدالة، العدالة للجميع وفي كافة الأمور؛ أي العدالة الاقتصادية، والسياسية والاجتماعية والأخلاقية. وهذا معيار آخر لحكومة أمير المؤمنين عليه السلام، فهو لا يطيق الظلم ولا يركن إليه ولو أُهدرت مصالحه. ومن أفظع الظلم هو التمييز، سواء في تطبيق القوانين أو في تنفيذ الأحكام؛ فهذا مرفوض على الإطلاق من قِبَل أمير المؤمنين عليه السلام.

ارتكب أحد أتباعه مخالفة، وكان شديداً في حبّه وماهراً في الدعوة إليه، وكثيراً ما كان يمارس الدعوة الحقّة له عليه السلام، فأقام أمير المؤمنين عليه السلام عليه الحدّ، وكان ذلك خلافاً لما يتوقّعه، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا الذي أواليك وأدافع عنك. فردّ عليه عليه السلام: نعم، ولكن هذا حكم الله[٢].

والله هو الذي يتقبّل منك موالاتك لي، ولك جزيل الشكر! وهكذا أجرى الحد عليه. لكنه ردَّ: ما دام الأمر كذلك، فإنني ذاهبٌ إلى معاوية، فهو الذي يعرف قدري! فذهب.

من الخصوصيات والمعالم الأخرى لحكومة أمير المؤمنين عليه السلام هي: التقوى؛ لاحظوا أنّ أيّاً منها بيرقاً وعلماً، فماذا تعني التقوى؟ إنها تعني: تلك الشدّة من المراقبة، بحيث لا يحيد الإنسان عن جادة الحق في ممارساته الشخصية. وهذا ما تعنيه التقوى؛ أي أن

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٦، ونص كلامه عليه السلام: «**أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ**».

(٢) دعائم الإسلام، ج: ٢، ص: ٤٤٣.

يراقب المرء نفسه مراقبة تامّة في تداوله للأموال، في التلاعب بكرامة الناس، في الاختيار والرفض، في التحدّث حيث يحتاط أن لا يقول ما يخالف الحق.

تصفّحوا نهج البلاغة فهو حافل بهذه المقولات. ومما يؤسف له الآن أنّ البعض درجوا على ارتكاب ما حلا لهم تحت طائلة أنّ أمير المؤمنين كان كذلك ويفعل هكذا، ما هو دليلهم ومن أين لهم هذا؟ إنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو ذاك في نهج البلاغة، وهو ذاك في الروايات الواردة عنه وعن أولاده الطاهرين، فأين هذه الأمور التي يدّعيها البعض قائلين: إنّ علياً كان كذلك؟ كلا، فعلي هو ذاك في نهج البلاغة؛ طالعوا نهج البلاغة من أوله إلى آخره، فهو حافل بالحثّ على التقوى والدعوة إليها، وما لم يكن الإنسان تقياً فلا قدرة له على إقامة دين الله.

فأسوأ الأمراض تلوثّ الباطن، فتلوثّ قلب الإنسان بالمعصية لا يدع للإنسان فرصة إدراك الحقيقة، ناهيك عن أن يتحرك صوبها.

من حكومة أمير المؤمنين عليه السلام: الانبثاق عن إرادة الأمة، إذ ليس من منطق أمير المؤمنين عليه السلام (التغلّب)، أي التحكّم بالناس عن طريق الغلبة والقهر، فبالرغم من علمه بأنه على حق تنحّى جانباً حتى جاءه الناس مصرّين معاهدين، ولعلهم بكوا ملتمسين إياه أن يمسك بزمام أمورهم، حينها نهض الإمام وأمسك بزمام أمور الأمة، وهو القائل: «**لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ.. لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا...**»[1]، فلا يستهوي أمير المؤمنين الإمساك بالسلطة وممارسة قدرته، فحب السلطة إنما يستهوي أولئك الذين يريدون إرضاء رغباتهم وأهوائهم النفسية، وليس أمير المؤمنين الذي يسعى لأداء التكليف الشرعي وإقامة الحق.

ولقد استودعته الأمة السلطة فاستلمها وحافظ عليها بكل اقتدار، ولم يحابِ أولئك الذين انبروا لمناهضة سلطته الإسلامية ومناوئة حكومته الإسلامية؛ فليكونوا من صحابة

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٣ (الشقشقية).

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن الوجهاء وذوي السابقة بالجهاد في سبيل الإسلام، فماداموا قد انبروا لمناهضة الحق ومناوئته فلابدّ من التصدّي لهم بكل اقتدار.

وتصدّى عليه السلام لهم! وعلى هذا المنوال كانت معاركه الثلاث. وهذه ميزة الحكومة الصالحة[١].

سيرته عليه السلام في الحكم

قال الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[٢].

ممّا يستحيل نسيانه بخصوص أمير المؤمنين عليه السلام تلك المعالم العملية والسلوكية التي تجلّت خلال البرهة الوجيزة من حكمه عليه السلام على امتداد البلاد الإسلامية الشاسعة وخلّدها التاريخ.

إنّ للمراتب المعنوية والشمائل الأخلاقية والشخصية التي تحلّى بها هذا الرجل العظيم شأنها؛ فلو راجعتم المصادر ستجدون فصولاً مسهبةً تتعرض لبيان ملامح أمير المؤمنين، فعلمه وتقواه وشجاعته وسابقته في الإسلام وزهده وما شابه ذلك، كلّها مما يفوق مستوى الحصر المتعارف ومن العظمة ما يثير الدهشة، وكل منها كالشمس الساطعة في بريقها، بَيْدَ أنّ ما أراه يسمو عليها جميعاً هو سيرة هذا الحكيم في الحكم التي تعد موضع امتحان جوهري، حيث تصبح السلطة بَيْدَ أمير المؤمنين وهي سلطة تمتد على بقعة شاسعة في البلاد.

فلتكن هذه السيرة الفريدة من نوعها والتي تثير الإعجاب قدوة لنا؛ وكل المطّلعين على سيرته عليه السلام في الحكم إنما يتحسّرون أسفاً على قصر مدّة حكمه؛ لأن هذا النهج لو

---

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٣/ رجب/ ١٤٢٣هـ.ق.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

قدّر له الاستمرار سنوات عديدة فلربما تغيّر مسار التاريخ العالمي، ولو كتب لهذا النموذج الدوام وأصبح في متناول البشرية سنوات مديدة فلربما انعطف مصيرها، ولم تبرز إلى الوجود هذه القوى القائمة على الفساد والثروة والشهوة والغطرسة والإجحاف، والتي شهدها التاريخ، وجرّت البشرية نحو الظلمات وغياهبها.

إنّ حكومة أمير المؤمنين بمثابة الأسوة على صعيد إقامة العدل والدفاع عن المظلوم ومقارعة الظالم وملازمة الحق في جميع الأحوال، ولابدّ من الاحتذاء بها؛ وهذا مما لا يبلى، فبوسعه أن يغدو قدوة في ظل جميع الظروف التي تمرّ بها الدنيا علمياً واجتماعياً لتحقيق السعادة لبني الإنسان، ونحن لا نريد تقليد ذات النهج الإداري لتلك الحقبة، وندّعي أنه مما يخضع للتطور الزمني، ونقول باستمرار ولادة المناهج الحديثة يوماً بعد يوم، بل إننا نصبو لاقتفاء أثر المسار الذي اختطّته تلك الحكومة والذي حاز الخلود إلى الأبد؛ فالدفاع عن المظلوم صفحة زاهرة على الدوام؛ وعدم مسالمة الظالم، ورفض الارتشاء من المتجبّر الثري، والثبات على الحقيقة، كلها من الأمور التي لا يتنابها القدم في الدنيا أبداً؛ ولها شأنها تحت ظل مختلف الأوضاع والظروف، وعلينا الاقتداء بها؛ لما تمثّله من أصول، وإنّ ما نطلق عليه الحكم الأصولي إنما يعني الاقتداء بمثل هذه القيم الخالدة التي لا تبلى والثبات عليها.

نماذج من حكمه عليه السلام

وتأسيساً على هذا فإنني أطرح هذه الأمور أمام الملأ العام مثلما خاطب أمير المؤمنين عليه السلام الأمة بمثل هذه القضايا؛ فكتبه عليه السلام بالرغم من أنها كانت موجّهة إلى أشخاص معينين، بَيْدَ أنّ الجميع كانوا يطّلعون عليها؛ وكذا الخطب التي كان عليه السلام يدلي بها بمرأى من أنظار الأمة؛ وإليكم نماذج من ذلك:

في مستهل حكومته ساوى أمير المؤمنين عليه السلام في تقسيم بيت المال بين الناس؛ لأن

الأمور سارت على مدى ما يقرب من عشرين عاماً قبل مجيء أمير المؤمنين على تفضيل البعض لسابقتهم في الإسلام، أو انتمائهم للمهاجرين أو الأنصار أو... على من سواهم، فكان يجري تقسيم ما يجبى إلى بيت المال من غنائم وزكوات على الأشخاص فرادى، وهكذا جرت العادة في المجال المالي يوم ذاك، ولم تكن على ما عليه المؤسسات الحكومية في عالم اليوم، وكان دأبهم يومئذ تفضيل البعض في العطاء، فجاء عليه السلام وألغى ما كان سائداً، إذ قال: من كان متديّناً وأكثر إيماناً فأجره على الله، ومن كان ذا قوة ويسعى في حياته لكسب المال فله ما كسب، أما بيت المال فإنني أقسمه بالسوية. فجاءه البعض مشفقاً محذراً من أنّ نتيجة ذلك ستكون الإخفاق وتدفع بالبعض إلى الوقوف بوجهك! فردّ عليه السلام: **«أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! وَاللهِ لاَ أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً»**(١)، فأمير المؤمنين عليه السلام يرفض كسب التأييد على حساب الظلم والجور.

وفي موضع آخر يقول في كتابه المعروف إلى عثمان بن حنيف:

«أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُوم إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ»(٢).

وهنا يشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى ملبسه ومأكله اللذين كان يشابه بهما أفقر الناس يومها، ويقول أنا إمامكم أعيش هكذا حياة.

ثم يقول لابن حنيف: **«أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَع وَاجْتِهَاد»**(٣)؛ وذاك ما يخاطبنا به أمير المؤمنين عليه السلام اليوم: تجنّبوا المخالفات والذنوب وما كان غير مشروع، واجتهدوا للاقتراب بأنفسكم ممّا وسعكم الوصول إليه.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٢٦).

(٢) نهج البلاغة: الكتاب (٤٥) كتبه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامله على البصرة.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب (٤٥) نفس المصدر.

وفي أحد المواضع يخاطب ابن عباس قائلاً: «**فلا يكن حظك في ولايتك مالاً تستفيده ولا غيظاً تشتفيه**»[(١)]؛ أي لا يكن ما تجنيه من ولايتك التي بعثناك إليها مالاً أو نقمة تفرغها على واحد من بني البشر، كأن تستغل السلطة ضد فرد أو فئة أو طبقة نحن على خلاف معها، فذلك مما لا يجوز لك، ثم يقول عليه السلام:

«**ولكن إماتة باطلٍ وإحياء حق**»، أي إنّ نصيبك من هذه الحكومة أن تميت باطلاً أو تقيم حقاً[(٢)].

وجاء أحدهم عند أمير المؤمنين عليه السلام يطلب مالاً، فيقول: «**إِنَّ هذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلاَ لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلاَّ فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لاَ تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ**»[(٣)].

هذا هو منطق أمير المؤمنين عليه السلام في تعامله مع مثل هذه الأمور؛ فلقد كان تطبيق العدالة والدفاع عن المظلوم والشدة مع الظالم ـ أيّاً كان الظالم وأيّاً كان المظلوم ـ مهم بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام.

لم يجعل أمير المؤمنين من الإسلام شرطاً للدفاع عن المظلوم؛ فأمير المؤمنين المتمسّك بالإسلام، المؤمن من الطراز الأول، أمير الفتوحات الإسلامية، لم يضع الإسلام شرطاً في دفاعه عن المظلوم؛ ففي واقعة (الأنبار) ـ وهي إحدى مدن العراق ـ حيث أغارت مجموعة من أتباع حكومة الشام على المدينة وقتلوا واليها المنصوب من قِبَل أمير المؤمنين، وحملوا على الناس وداهموا البيوت وقتلوا عدداً من الناس ثم قفلوا راجعين، خطب أمير المؤمنين عليه السلام تلك الخطبة التي تعد من الخطب العواصف التي وردت في

---

(١) بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٣٢٨.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٣١ ، من كلام له عليه السلام كلم به عبد الله بن زمعة.

نهج البلاغة، وهي خطبة الجهاد[1]، حيث يقول عليه السلام: «**إِنَّ الجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ**»، قاصداً فيها حثّ الناس على التحرّك؛ لمواجهة هذا الظلم الشنيع، فيقول: «**وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ، وَالأُخْرَى المُعَاهَدَةِ**»، فلا فرق لدى أمير المؤمنين عليه السلام من أن تكون المرأة المعتدى عليها من أهل الكتاب ـ يهودية أم مسيحية أم مجوسية ـ أو مسلمة، فهو عليه السلام يذكّرهنّ بلسان حال واحد: «**فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا**[2] **وَقُلْبَهَا**[3] **وَقَلائِدَهَا، وَرِعَاثَهَا**[4]، **ما تَمْتَنِعُ مِنْهُ إلاَّ بِالاسْتِرْجَاعِ وَالاسْتِرْحَامِ**»، ثم يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِن بَعْدِ هَذا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً!**».

وفي كتابه المشهور لمالك الأشتر حيث يحدد له فيه طبيعة التعامل مع الناس، وأن لا يكون سبعاً ضارياً، يردف كلامه قائلاً: «**فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ**»[5].

وبناءً على هذا؛ فإن الإسلام ليس مناطاً بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام في دفاعه عن المظلوم وإحقاق حقوق الإنسان، فالمسلم وغير المسلم كلاهما يتمتع بهذا الحق.

انظروا أي منطق رفيع هذا، وأي لواء خفّاق رفعه أمير المؤمنين عليه السلام على مرّ التاريخ! وهناك الآن نفر يهتفون باسم حقوق الإنسان في العالم زوراً ورياءً، وهم لا يراعون للإنسان حقوقاً أبداً حتى داخل بلدانهم، ناهيك عن سائر أصقاع الدنيا، فحقوق الإنسان بمعناها الحقيقي تلك التي صرّح بها أمير المؤمنين عليه السلام وعمل بها.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٧.

(٢) الحجْل ـ بالكسر و بالفتح و بكسرين ـ : الخلخال.

(٣) القُلُب ـ بضمتين ـ : جمع قُلْب ـ بالضم فسكون ـ : السوار المُصْمَت.

(٤) الرعاث ـ جمع رَعثة ـ وهو: ضرب من الخرز.

(٥) نهج البلاغة: كتاب: (٥٣) من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها.

آلام أمير المؤمنين عليه السلام

لقد عانى أمير المؤمنين عليه السلام مصاعب جمّة، ولعل ليس هناك من سمعه يبوح بشكاواه الأصلية خلال حياته، وإن كان عليه السلام كثيراً ما يشتكي القوم ويؤنّبهم من على المنبر، ولم تقتصر شكواه على مساءلة الناس على عدم توجّههم إلى ميادين الجهاد، فلقد كان قلب أمير المؤمنين عليه السلام يعتصر ألماً؛ ففي دعاء كميل[١] المعروف ـ وهو من إنشاء أمير المؤمنين عليه السلام ـ يخاطب عليه السلام رب العالمين «**الهي وسيدي ومولاي ومالك رقّي** ..»، ومن بين ما احتواه خطابه هذا المقطع الذي طرق سمعي ومخيلتي بفائق حساسيته: «**يا من إليه شكوت أحوالي**»، فلقد كان عليه السلام يبثّ شكواه إلى الله وكان فؤاده يطفح بالألم، وكان الهاجس الذي يقلق أمير المؤمنين عليه السلام يتعلق بوضع الأمة والمجتمع، ومسيرة الدين والاتجاه الديني في النظام الإسلامي الذي كان حديث عهد يومذاك، وكذلك شعوره بثقل مسؤوليته التي لم يفرط بواحد من الألف منها[٢].

(١) مصباح المتهجد: ٨٤٩، وهو دعاء الخضر عليه السلام.

(٢) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ٢١/ رمضان/ ١٤٢٢هـ.ق.

الفصل الثاني

واقعة الغدير

فلسفة الغدير

المفهوم الصحيح لواقعة الغدير

عيد الغدير عيد في غاية العظمة، ويعد واقعة تاريخية كبرى فيها من الدروس ما إن استوعبته الأمة الإسلامية فإنها ستجني الفائدة الحقيقية من هذا اليوم؛ ففي واقعة الغدير أعظم الدروس، فهي من الحوادث المسلّم بها في التاريخ الإسلامي، وليس الشيعة وحدهم الذين رووا حديث الغدير، بل هنالك الكثير من علماء السنة ومحّدثيهم الذين رووه أيضاً، ونقلوا الواقعة كما نقلها الشيعة، إن العلماء فهموا ـ كمَن شهد تلك الواقعة ـ من فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما رفع يد أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «**مَن كنتُ مولاه فهذا عليّ مولاه**»[1]؛ أنه صلى الله عليه وآله وسلم نصّب أمير المؤمنين خليفة له.

ولسنا هنا بصدد الدخول في قضية الشيعة والسنة واختلافاتهم وسجالهم العقائدي، فيكفي الأمة الإسلامية ما تجرّعته من ويلات الاختلاف بين الشيعة والسنة حتى يومنا هذا! غير أنّ ما ينطوي عليه كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم حريّ بأن يفهم فهماً صحيحاً، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نصّب أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد بُعث النبي ليعلّم الناس ويزكيهم ﴿**يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ**﴾[2]، وورد في موضع آخر ﴿**يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾[3].

فلابدّ من تعليم الناس وتزكيتهم أيضاً؛ كي يتسنّى لهذا المجتمع البشري الكبير الذي يقطن هذه المعمورة أن يطوي طريق الكمال كأسرة متوحّدة سليمة، ويتنعّم بما في هذا

---

(١) مسند احمد، ج: ٤، ص: ٣٧٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

العالم من خيرات، وهذا هو الهدف من بعث الأنبياء؛ فكل مَن بعث منهم عليهم السلام أنجز هذه المهمة العظمى في التربية والتعليم بما كانت تسمح به الإمكانيات المتوفّرة في زمانهم، وكان على الدين الخاتم والنبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم أن يضفي على هذا التحرّك الإلهي العملاق طابع الأبدية، فليس هنالك من نبي يأتي بعده حتى تحط البشرية رحالها عند المحطّة الأخيرة من حياتها في هذا العالم ـ حيث يفترض أن تتسم حياة البشرية على هذا الكوكب الأرضي بالوئام والسلام والعدل، ويغمرها بخيرات هذا العالم ـ وتنتقل إلى العالم الآخر، فأنى يتسنّى السير بالبشرية نحو تلك الدار؟ إنه يتحقق عندما تتواصل عملية التربية إلى جانب التعليم المتواصل الذي تمارسه الحكومة والنظام السياسي الذي يشابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو المعصوم ـ حيث يقود المجتمع البشري ويتولّى تربيته وتهذيبه من العوالق الذميمة؛ كي تبلغ البشرية تلك المحطّة التي تمثّل منطلقاً للحياة السعيدة التي تحلم بها الإنسانية، وذاك ما نعبّر عنه بعهد ولي العصر أرواحنا فداه[1].

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٨/ ذي الحجة/ ١٤٢١هـ.ق.

جوهر الولاية

الجوانب المهمة في قضية الغدير

عبّرت رواياتنا عن هذا العيد باسم (عيد اللّه الأكبر)[1].

قد تتخذ القضية تارةً طابع اختيار شخصية لمنصب الخلافة كشخصية أمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي له صفات فريدة في جميع الجوانب، وهي طبعاً حادثة مهمة وعظيمة وجديرة بأن تتخذ كعيد على سنوات متمادية، بل وعلى مدى قرون طويلة، ومن المتعارف أيضاً أنّ الذين يحبون شخصاً يبتهجون حينما تتوفر له الإمكانيات، أو حينما يحرز منصباً ومكانة.

وهذا له أهميته أيضاً؛ حيث إنّ تنصيب شخص كأمير المؤمنين (عليه السلام) لخلافة الأمة الإسلامية لا يعتبر حدثاً عادياً.

إلاّ أنّ قضية الغدير أكثر أهمية وأكبر من كل هذا.

لا يقتصر شرف حادثة الغدير على تنصيب شخص كأمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي لا مثيل له في عالم الوجود، لمنصب الحكومة والخلافة والولاية، ولكن بالإضافة تحمل قضية الغدير جانباً آخر ـ لعل القضية تحمل جوانب أخرى أيضاً، لكننا نريد اليوم التحدث عن هذا الجانب بالذات ـ لا تقل أهميته عن قضية تنصيب أمير المؤمنين بصفته الشخصية، وذلك هو أصل قضية الولاية، والمضمون الخاص الذي تنطوي عليه في الإسلام.

إنّ ما يمكن أن يبقى قائماً على مدى الزمن، ويتسنّى لبني الإنسان استقاء العِبَر منه، وتسيير حياتهم الحالية والمستقبلية وفقاً له، هو المضمون الذي اشتملت عليه واقعة

---

(١) بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٣٠٣، باب: (٤) من أبواب ما يتعلق بشهر ذي الحجة من الأعمال، الحديث (٢).

الغدير.

فالأمر الإلهي الخاص الصادر عن اللّه عزّ وجلّ، والذي عيّن على أساسه الرسول الكريم ﷺ شخصاً بهذه المواصفات كوليّ من بعده، يُعدّ بحد ذاته أمراً مهماً ودرساً كبيراً، ويشكل جانباً مهماً من الإسلام، بل وربما يمكن القول: إنّ أساس الإسلام وركيزته تكمن في هذا الجانب من القضية، حتى إنّ هذا الأمر على قدر من الأهمية بحيث تقول الآية الشريفة: ﴿**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾(١).

فما هي حقيقة الغدير وحقيقة هذا التعيين، حتى يحظى بهذا القدر من الأهمية؟ لهذه القضية أبعاد مختلفة: إحداها هي أنَّ إدارة شؤون الناس أمر إلهي وليس أمراً بشرياً، وهو يختلف عن شؤون الإنسان الأخرى.

وهذا الجانب قد يستغله البعض ويلقي بالكثير من الانحرافات والسلبيات على حساب العلاقة مع اللّه، ومثل هذا الاستغلال قد يحصل طبعاً في جميع حقائق العالم، وحتى النبوّة استغلها البعض وادّعاها لنفسه وأضلّ نفراً من الناس، إلاّ أنّ هذا الاستغلال ـ بالباطل ـ لا يبرر لنا المرور على هذا البعد من القضية مروراً عابراً.

هذه القضية بذاتها، أعني إدارة شؤون المجتمع، وما يتعلق بمسيرته ومصيره والجوانب البنّاءة في حياة الإنسان، لها صلة بمعدن الإرادة الإلهية والتعيين والتنصيب الإلهي، وهذا أحد أبعاد المضمون الذي أشرنا إليه.

البعد الآخر الذي أريد التأكيد عليه اليوم هو مضمون وجوهر الولاية، الذي تكرر في واقعة الغدير «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**»(٢)، وخلال هذه الواقعة التاريخية عبّر الرسول ﷺ عن الحكومة بكلمة الولاية.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) مسند احمد، ج: ٤، ص: ٣٧٠.

معنى الولاية في اللغة

توجد في اللغة العربية واللغات الأخرى تعابير مختلفة لوصف هذه الظاهرة المسمّاة بالحكومة والسلطة وإدارة زمام الأمور، أو لتسمية الشخص أو المجموعة التي تحكم المجتمع، ويشير كل واحد من هذه التعابير إلى جانب خاص منها، فكلمة الحكومة مثلاً تشير إلى الشخص أو الجماعة التي تكون على رأس السلطة وتدير شؤون الناس، وهم بدورهم يطيعون أوامرها، وهناك أيضاً كلمة السلطنة، وتشير إلى الاقتدار والقوّة والتسلط على الأمور، وتوجد هذه التعابير نفسها في اللغة الفارسية أيضاً.

في الإسلام هناك تأكيد على كلمة (الولاية) أكثر من غيرها، سواء في هذا الموضوع أم فيما ورد في الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾[1]، إذ جاء التعبير عن الحكومة بكلمة (الولاية).

الولاية ذات معنى عميق، وتعني في الأساس قرب الشيئين من بعضهما، فإذا أبرم حبلان ـ على سبيل المثال ـ مع بعضهما حتى لا يعود من السهل نقضهما، يطلق عليه باللغة العربية (وليّ). والولاية تعني الاتصال المباشر والصلة الوثيقة بين الشيئين.

وجميع المعاني التي وردت في اللغة لكلمة الولاية: من قبيل المحبة، والقيمومة، وما إلى ذلك من المعاني الأخرى التي يناهز عددها السبعة أو الثمانية، يعبّر كل واحد منها عن نوع من القرب والصلة القائمة بين الطرفين اللذين تجمعهما الولاية، فتطلق الولاية على المحبة مثلاً، لوجود علاقة معنوية بين المحب والمحبوب ولا يمكن فصلهما بهذه السهولة.

يعبّر الإسلام عن الحكومة بكلمة (الولاية)، ويعبّر عن الشخص الذي يكون على رأس الحكومة بكلمات الوالي، والمولى، وهي بأجمعها مشتقة من كلمة الولاية.

فما معنى هذا؟ يعني هذا في النظام السياسي للإسلام أنّ الشخص الذي يتصدى

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

لزمام الأمور تربطه مع الناس الذين بيده زمام حكمهم، صِلات وثيقة لا تفصم عُراها، وهذا ما يعكس لنا الفلسفة السياسية للإسلام في قضية الحكومة، وكل حكومة لا تقوم على هذه الصورة فما هي بالولاية ولا هي بالحكومة التي يصبو إليها الإسلام، فإذا افترضنا على رأس الحكومة أشخاصاً لا يرتبطون بأية صلات مع الشعب، فلا ولاية هنا، أو إذا كانت العلاقة مبنيّة على الخوف والإرهاب ـ أي خالية من المودّة والمحبّة ـ فما هي من الولاية في شيء، وإذا ما تسلّم أحد السلطة عن طريق الانقلاب فلا ولاية هنا.

وإذا آل الحكم إلى شخص بالوراثة والصلة النسبية ـ بدون التحلّي بالفضائل والكفاءات الحقيقية التي هي شرط في الحكومة ـ فليست هذه ولاية.

الولاية تصدق حيثما يرتبط الولي أو الوالي مع الناس الذين يتولاهم بصلات وثيقة وحميمة، كما هو الحال بالنسبة لرسول اللّه ﷺ الذي (بُعث من أنفسهم) أو (بُعث منهم).

أي أن يكون الشخص الذي يأخذ بولاية الناس، من الناس أنفسهم، وهذه هي الركيزة الأساسية في حاكمية الإسلام.

من الطبيعي أن المعايير محفوظة في موضعها، فإذا كانت لأحد صلة مع الشعب بدون التحلّي بتلك المعايير الحقيقية، فهذه أيضاً ليست ولاية؛ إذ تلك الملاكات والمعايير معدومة في حقه، حتى وإن تحلّى ببعد آخر.

حكومة الإسلام حكومة ولائية

إذاً بالإضافة إلى تلك المعاني الحقيقية، فإنّ الحكومة في الإسلام حكومة ولائية، والولاية تعني الحكومة، ولكنها صيغت بتعبير لطيف يناسب شخصية الإنسان وشرفه.

وبما أنّ أفراد المجتمع هم الأساس في الحساب السياسي الإسلامي، لهذا تدخل

شخصيتهم وإرادتهم ومصالحهم وكل شأن من شؤونهم في حساباته، وعندها يكون للولاية الإلهية معناها من خلال مثل هذا الحضور الشعبي، أي أنّ حقيقة الولاية الإلهية تنعكس عبر العلاقة مع الشعب.

ومن هنا لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام ـ وهو مظهر الولاية في الإسلام والمصداق التام للولي ـ بعيداً ولو لحظة واحدة عن حالة الاتصال والانسجام مع الناس، لا في الفترة التي جرّدوه فيها عن الحكم، وعزلوا الناس عنه من حيث صفته كحاكم، أي في الفترة التي جرّدوه فيها عملياً من الحكومة والقيادة والزعامة التي يصطلح عليها في الإسلام بـ (الولاية) التي كانت حقّاً له ـ لاشكّ أنّ الولاية المعنوية التي يعتقد الشيعة بوجودها في الإمامة، قائمة على كل حال ولا شأن لها بالولاية الظاهرية ـ ولا في غيرها من العهود الأخرى.

في ذلك الوقت كان أمير المؤمنين عليه السلام كأحد أبناء الأمة وجزءاً منهم ولم يكن في معزل عنهم. وحينما استلم زمام الحكم كان حاكماً شعبياً بمعنى الكلمة[1].

الولاية وأثرها في الشؤون السياسية والاجتماعية

إنّ تسمية يوم عيد الغدير بعيد الولاية، تسمية صحيحة؛ فهو اليوم الذي اتخذ فيه مفهوم الولاية على يد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مصداقاً عينياً بيّناً.

وكل من يشأ أن يذكر مثالاً للإنسان الإسلامي فأفضل مثال أمامه هو من نصّبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي الإلهي وبأمر ربّ العالمين، في ذلك اليوم لمنصب الولاية العظيم.

معنى الولاية والمفهوم العظيم الذي اتخذ يوم عيد الغدير مصداقاً معلوماً يشكّل واحدة من النقاط الأساسية والحسّاسة الخليق بأبناء مجتمعنا الإسلامي ومفكّريه أن

---

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٨/ ذي الحجة الحرام/ ١٤١٧هـ ق.

يتأمّلوا فيها.

حينما يكون على رأس أحد الأنظمة وليّ اللّه ـ كالرسول الكريم ﷺ أو أمير المؤمنين عليه السلام ـ فذلك المجتمع هو مجتمع الولاية، والنظام نظام الولاية.

والولاية أيضاً صفة للمنصب الذي كان لرسول اللّه ولأوصيائه من بعده بأمر اللّه، وهي أيضاً خاصية من خصائص المجتمع الإسلامي، الذي كان يعيش في ظل تلك الحكومة ويستمد معناه من معانيها.

المفهوم الكلي للولاية

سبق لي وأن ذكرت عدّة مرّات، وأؤكّد هنا أيضاً على نقطة أساسية وحيوية ترتبط بها القضايا الحسّاسة والمصيرية للأمة الإسلامية، وهي: إنّ الولاية كصفة للحكومة في الإسلام وكمؤشر يميّز النظام الاجتماعي والسياسي في الإسلام، لها معنىً دقيق وذو مغزى، يعكس المعنى الأصلي للولاية، وذلك هو الترابط والتلاحم والانسجام والتداخل، والذي تتداعى على أثره إلى الأذهان معاني الوحدة والتكاتف والعمل الموحّد والتضامن ووحدة الطريق والهدف، والإتحاد في كل الشؤون السياسية والاجتماعية.

الولاية تعني الترابط: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ**﴾[1].

أي أنّ هذا الترابط بين أفراد المجتمع الإسلامي يحصل بالهجرة، وليس بالإيمان وحده.

فالترابط الولائي الذي يعد ظاهرة سياسية واجتماعية وموقفاً مصيرياً في الحياة يتحقق بالجهد والحركة والهجرة والعمل المشترك والموقف الموحّد؛ ولهذا لا يكون الولي في النظام الإسلامي بمعزل عن الأمة.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

فالولاية تعني: التلاحم والانسجام والترابط، كما وتعني في أحد أبعادها المحبّة، وتعني في موضع آخر التآزر والتعاون.

وهذه المعاني كلها تمثّل في الواقع مصاديقاً للارتباط والتضامن والاتحاد والوحدة؛ أمّا المعنى الحقيقي فهو الإتحاد والتلاحم.

إذا نظرنا إلى المجتمع الإسلامي بهذا المنظار، تتخذ الوحدة الاجتماعية والوحدة السياسية والوحدة المعنوية والروحية والعملية أبعاداً عميقة، تُبلور أمامنا معاني الكثير من المعارف الإسلامية كالسير باتّجاه مركز عالم الوجود، وباتجاه ولاية اللّه؛ فذرات الوجود كلها ـ شاءت أم أبت ـ تدور في إطار ولاية اللّه.

والإنسان الواعي الذي يُحسن الاختيار، يختار الولاية الإلهية ويسير في مسارها، وينال محبّة اللّه ويمتلئ بها قلبه.

سمات المصداق الحقيقي للولاية

نقاء الأجواء المعنوية الإسلامية ناجم عن هذه الولاية الإلهية، التي لا تختلف اختلافاً جوهرياً عن ولاية اللّه في بعدها السياسي؛ فالحقيقة واحدة.

ولهذا فالحكومة في الإسلام حكومة محبّة وإيمان واتحاد، وتعني أيضاً تكاتف الشعب والحكومة، وتعني تلاحم شُعَب الحكومة مع بعضها الآخر، وانسجام طبقات الشعب مع بعضها الآخر.

وهذه هي السمات التي تميّز المصداق الحقيقي للولاية في هذا العالم المتفرّق المشتت، وتبيّن الهوية الإسلامية لهذا النظام.

يجب أن تكون الصفة الغالبة على طبيعة الحياة في النظام الإسلامي وفي نظام الولاية هي التعاطف والتلاحم والتعاون؛ لهذا السبب إذا نظرنا إلى آيات القرآن الكريم نجد أنّ هذه المعاني تحتل حيّزاً كبيراً منها، هناك آيات تحمل هذا المعنى صراحة، كالآية الشريفة: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً..﴾[١] وغيرها. وهناك آيات أخرى وإن كانت لا تحمل هذا المعنى صراحة، إلاّ أنها تتضمن مفاده.

وكما تعلمون فإن أمير المؤمنين عليه السلام تجسيد لتلاحم الزعيم السياسي والولي والإمام مع أفراد الشعب، ولا يمكن العثور في العالم كله، وعلى مدى التاريخ على مثال أوضح من أمير المؤمنين، علي ولي اللّه، وهذا هو المعنى الحقيقي للولاية[٢].

القيم الإسلامية وإدارة شؤون المجتمع

إنّ ما يمكن أن يفهمه مَن يطالع التاريخ من أمثالنا من حادثة الغدير هو ما يتضمّنه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٨/ ذي الحجة/ ١٤١٨ هـ ق.

ذلك التنصيب الإلهي من مفهوم في مسألة كيفية إدارة شؤون البلاد، وانتخاب الناس الصالحين لتولّي المسؤوليات الكبيرة، طبعاً إنّ أصحاب النظرة العرفانيّة العالية ومن ارتبطت قلوبهم بمنابع النور والمعرفة قد يدركون أموراً أخرى من تلك الواقعة لا يستطيع غيرهم إدراكها.

أمّا الذي نفهمه نحن من هذه الحادثة فهو أن النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بتعيينه أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ بأمر من اللّه ـ لمنصب الولاية قد أظهر هذه الحقيقة الإسلامية الناصعة وهي: إنّ المسؤولية الجسيمة لإدارة المجتمع الإسلامي هي قضية لا يمكن معها غضّ النظر عن شيء من المعايير والقيم الإسلامية بشكل كامل ودقيق.

فهل يوجد إنسان أعظم من أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي جُمعت فيه كلّ القيم الإسلامية السامية؟ فالإيمان والإخلاص، والتضحية والإيثار، والتقوى والجهاد والسبق للإسلام، والانصراف عن كلّ ما هو لغير اللّه، والعزوف عن الزخارف المادّية وتحقير الدنيا، والعلم والمعرفة، والقمّة في الإنسانية بجميع أبعادها، كانت جميعها من القيم الكريمة التي كان يتحلّى بها مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام).

وهذا الأمر لا تقول به الشيعة فقط، بل لقد أجمع المسلمون والمؤرّخون والمحدّثون الذين كتبوا عن حياته بصدق وإنصاف، أنّه (عليه السلام) كان يتحلّى بجميع تلك الخصال بل أكثر من ذلك، ولهذا قام النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في يوم الغدير ـ وأمام أنظار الذين كانوا يعرفون تلك الخصال في أمير المؤمنين ـ بتعيينه لمنصب الولاية.

وهذا يعني إعطاء الأهمّية القصوى للقيم والمعايير الإسلامية، وهو أمر يجب أن يبقى موضع اهتمام المجتمع الإسلامي والنظام الإسلامي حتى ظهور الإمام الحجّة (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

ولكن ـ وللأسف ـ إنّ الأمة الإسلامية لم تتمكّن من الاستفادة الكاملة من المواهب الإسلامية العظيمة؛ لامتلاكها تلك النقيصة الكبيرة وهي عدم رعاية القيم والمعايير الإسلامية في إعطاء المسؤوليات في المجتمع الإسلامي.

إنّ ما يعنيه تنصيب شخص كأمير المؤمنين على رأس النظام النبوي ـ الذي صنعته أيدي النبيّ ﷺ المقدّسة في صدر الإسلام الأوّل ـ هو وجوب رعاية تلك القيم والمعايير في كلّ زمان عند إعطاء المسؤوليات الأساسية في النظام الإسلامي، وهذه القضية في غاية الأهمّية بالنسبة لنا نحن المسؤولين والعاملين في النظام الإسلامي في إيران.

ومما لا شكّ فيه أنّه لا تجب رعاية تلك القيم والمعايير في انتخاب قيادة المجتمع الإسلامي فقط، بل هو أمر لابدّ من رعايته في كافة مواقع المسؤولية في النظام الإسلامي.

إنّ الالتزام بالقيم والمعايير الإسلامية من شأنه أن يجعل الأمة الإسلامية ترفل بالخير والبركة، كما نشاهده في الشعب الإيراني الذي ينعم اليوم بالبركة بمقدار ما استطاع تحقيقه من هذا المبدأ الإسلامي الرفيع.

التمسك بالإسلام والولاية

إنّ وعي الشعب الإيراني وشعوره بالعزّة ناشئين من تمسّكه بإسلامه العزيز وهذا نقيض ما كان يبغيه أعداء الإسلام دوماً، فقد حاولوا تلقين المسلمين الشعور بالخجل من انتمائهم للإسلام، وأن يبعدوا المظاهر الإسلامية من حياتهم ومن حركاتهم وسكناتهم، والتظاهر بالمظاهر المخالفة للشرع، والسير خلافاً للمفاهيم الإسلامية، والانجذاب نحو جبهة أعداء الإسلام.

وأرادوا من المسلمين ـ من أيّة شريحة وفي أيّ منصب كانوا ـ التقرب أكثر من القيم غير الإسلامية التي كان الاستعمار يحاول ترويجها في أوساط المجتمعات الإسلامية، فقد حاولوا جعل مظاهر حياة المسلمين شبيهة بمظاهر الحياة الرائجة في المجتمعات الغربية، والتعامل فيما بينهم كتعامل الغربيين مع بعضهم، ونظرتهم للحياة كنظرة الإنسان الغربي للحياة، وممارسات المسلمين كممارساتهم، والاعتراف بالقيم الغربية على أنها قيم كريمة، وأن يتناسوا الإسلام بشكل كامل.

فيجب علينا استثمار قضية الغدير إلى أقصى حدٍّ ممكن من أجل تثبيت تلك المبادئ السامية في حياتنا؛ لأنّ الغدير هو الأساس لاعتقاداتنا ومبادئنا الشيعية.

ففي العهد البهلوي الفاسد عندما نقرأ في يوم الغدير: «**الحمد للّه الذي جعلنا من المتمسّكين بولاية أمير المؤمنين وأولاده المعصومين** عليهم السلام» كانت تلك الولاية لا تتمثّل إلا في العواطف والعقائد النظرية فقط، أمّا من الناحية العمليّة فقد كانت الولاية للطاغوت والاستكبار وأعداء الإسلام.

وحينما كان المؤمنون يقرأون: «**اللّهم اجعلنا من المتمسّكين بولاية أمير المؤمنين**» يعني أنّهم كانوا يطلبون من اللّه أن يجعلهم متمسِّكين بولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

أمّا اليوم فقد استُجيب هذا الدعاء، وتمسّك الشعب الإيراني بولاية أمير المؤمنين عليه السلام من خلال النظام الإسلامي الذي استخرجه إمام الأمة من حقيقة القرآن والدِّين وتمّ تطبيقه في هذا البلد، فيجب علينا تعميق هذا التمسُّك وتركيزه أكثر فأكثر.

إنّ أساس التمسّك بولاية أمير المؤمنين هو التمسُّك بالقيم والمعايير الإسلامية العظيمة، فيجب العمل بجميع القيم الكريمة التي جاء بها الإسلام، سواء القيم الفرديّة كعلاقة الإنسان مع ربّه سبحانه وتعالى والتوسُّل والتضرّع إليه، والتي كانت من أهمّ القيم الفردية لإمامنا أمير المؤمنين عليه السلام، أو القيم والموازين الاجتماعية التي ترتبط بقضايا المجتمع السياسية والاقتصادية والدولية، أو تلك التي ترتبط بعادات المجتمع وتقاليده.

فلابدّ لكم من معرفة الأمور التي اعتبرها الإسلام قيماً سامية وتطبيقها في مجال عملكم، وفي انتخاب معاونيكم، وفي تنفيذ المهام الموكلة إليكم، وفي إعداد المشاريع للمؤسسات التي تعملون فيها، وهذا هو معنى التمسّك الكامل بالولاية.

وكلّما كان الالتزام بهذا الأمر أكبر كان المجتمع الإسلامي أقوى وأكثر شعوراً بالعزّة والكرامة، وتقدّمه ـ في جميع مجالات الحياة ـ أسرع وأعمق[1].

---

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٨/ ذي الحجة/١٤١٤هـ.ق.

من أبعاد الغدير

إنّ بإمكان الإنسان أن يُلقي نظرة على واقعة الغدير بأبعادها المختلفة، ويستفيد منها فكريّاً ومعنوياً.

فالبعد الأوّل: هو أصل مسألة الولاية، الّتي هي امتداد للنبوّة، وهذه مسألة مهمّة.

فالنبوّة هي إبلاغ النداء الإلهي لأبناء البشر، وتحقّق المشيئة الإلهيّة بواسطة الشخص المبعوث والمصطفى من اللّه في فترة زمنية معيّنة.

وبديهي أنّ هذه البرهة تمرّ وتنتهي ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[١]، لكن هذه الحادثة الإلهيّة والمعنويّة لا تنقطع بوفاة النبي، بل يبقى للحادثة بُعدان:

أحدهما: هو الاقتدار الإلهي، وحاكميّة الدِّين والمشيئة الإلهيّة بين أبناء البشر؛ لأنّ الأنبياء كانوا مظهراً من مظاهر الاقتدار الإلهي بين البشر.

فلم يأت الأنبياء لوعظ الناس فقط، بل الوعظ والتبليغ يعدّان جانباً من عمل الأنبياء.

فالأنبياء جميعهم بُعثوا لبناء مجتمع أساسه القيم الإلهيّة، أي التأثير في واقع حياة الناس، فتمكّن بعضهم وبلغ به جهاده إلى نتيجة والبعض الآخر لم يتمكّن ولم يصل إلى نتيجة.

لكن هذا البعد في حياة النبيّ ﷺ هو بُعد أساسي. فالنبيّ أضحى بهذا البعد مظهراً من مظاهر القدرة الإلهيّة على الأرض وبين أبناء البشر، ومظهراً من مظاهر الحاكميّة والولاية الإلهيّة بين الناس.

وهذا بعد ممتدّ ليُعْلَم أنّ الدين لا يمكن أن يترك أثره في برهة زمنيّة أو فترة

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

تاريخيّة، إلاّ بوجود هذه الزعامة والحاكميّة والاقتدار فيه.

ثانيهما: ـ وهو على نفس القدر من الأهمّية ـ أنّه إذا كانت هذه الحاكميّة لا تنقطع بل تمتدّ بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يمكن للحاكميّة أن تخلو من الأبعاد المعنويّة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

صحيح أنّ للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مقام عظيم واستثنائي، ولا يقاس به أحد، لكن يجب أن يكون امتداد وجوده متناسب مع وجوده، ويجب الحفاظ على القيم الموجودة في الوجود المقدّس للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في مَنْ هو امتداد لوجوده، طبعاً، بقدر ظرفيّة ذلك الشخص.

وهذا الأمر لم يتحقّق ويتبلور في تلك الفترة وذلك الفصل المهمّ من تاريخ النبوّة والولاية ـ والّذي وجب في مَنْ هو امتداد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون معصوماً، وإلاّ وقع الانحراف ـ سوى في الوجود المقدّس لأمير المؤمنين عليه السلام.

إذاً حادثة الغدير قد سجّلت هذين الأمرين معاً في تاريخ الإسلام.

وهذا بُعد في قضية الغدير، والبعد الآخر هو شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، والبعد الثالث هو اهتمام النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقضايا ما بعد وفاته.

هذه رؤى وأبعاد مختلفة يمكن مناقشة واقعة الغدير من خلالها.

اجتماع المسلمين تحت ظل الولاية

وما أراه مناسباً أن أخاطبكم به هنا ـ أيّها الإخوة والأخوات مسؤولي البلاد، وكذا أخاطب شعبنا العزيز باختلاف مذاهبه والأمة الإسلاميّة ـ هو أنّ واقعة الغدير حقيقة وقعت ولها مفهوم قد يدركه البعض وبصورة كاملة وقد لا يدركه الآخرون، ونحن ـ كشيعة ـ نعلم أنّ معنى الغدير هو ذلك الشيء الّذي قلناه وكرّرناه وحقّقنا وكتبنا حوله، وسجّلناه في قلوبنا وأرواحنا طوال ١٤٠٠عاماً، ولسائر الفرق الإسلاميّة آراؤهم الخاصّة.

ويجب أن يلتفت المجتمع الإيراني وجميع الشيعة المنتشرين في أرجاء المعمورة

إلى أمرين متلازمين في هذه القضيّة.

الأول: هو أنّ الاعتقاد بالغدير وبالولاية والإمامة ـ الّذي يعتبر الركن الأساس لمذهب الشيعة ـ لا يجب أن يكون كسائر المباحث الكلاميّة المهمّة سبباً للاختلاف والفرقة بين المسلمين. فعلى الشيعة وعلى سائر الفرق الإسلاميّة أن لا يخلقوا في أنفسهم تحسّساً يؤدّي إلى الفرقة والاختلاف بينهم، فهذا ما يريده العدو.

إنّ أعداء الإسلام يسعون لاستغلال القضايا الصغيرة الخاصّة بكلّ فرقة وجماعة إسلاميّة لبثّ الفرقة بين المسلمين ـ لأنّ وسائل بثّ الفرقة متوفّرة في كلّ مكان ـ، فكيف بقضيّة عظيمة ومهمّة كواقعة الغدير، والبعض ـ في الحقيقة ـ ينخدع ويصبح أداة بيد العدو، فالأمة الإسلاميّة بحاجة إلى الوحدة اليوم حيث نقاط الاجتماع والإتحاد كثيرة.

الأمر الثاني: هو أصل مفهوم حديث وحادثة الغدير، حيث يجب أن لا يغفل عنه.

وإنّنا نوصي جميع الفرق الإسلاميّة ـ لا أن نقول للشيعة فقط لا تنسوا الغدير ـ أن لا تنسوا أصولكم، لكن نؤكّد في الوقت نفسه للشيعة أن يعتمدوا ويتّكئوا على فكر الغدير، فهو فكر راق ونيِّر،فلا يتصوّر أنّ مناداتنا بالوحدة الإسلاميّة ـ رغم أنّنا قد وقفنا بكلّ قوّة واقتدار أمام أعداء الوحدة الإسلاميّة ـ يعني نسيان هذا المفهوم المهم النيّر الأصيل المنقذ للإسلام، أي مفهوم الولاية والغدير، فإذا توجّهنا إلى مسألة الغدير بالبُعدين اللّذين أشرت إليهما في خطابي، ففي ذلك نجاة العالم الإسلامي.

إنّ البعض يتصوّر أنّ بإمكانه أن يكون مسلماً دون العمل بالأحكام الإسلاميّة، وهذا معنى فصل الدِّين عن السياسة، أي كونوا مسلمين بالاسم لكن لا تعملوا بالأحكام الإسلاميّة، أي النظام المصرفي، والنظام الاقتصادي وتركيبة الحكومة والعلاقات الفرديّة والاجتماعية، كلّ هذه تدار طبقاً للقوانين غير الإسلامية، بل المخالفة للإسلام في المناطق الّتي يحكمها القانون، وطبقاً لإرادة ورغبة إنسان قاصر ناقص في المناطق الّتي لا يحكمها القانون كبعض الدول الإسلاميّة اليوم.

كيف يمكن تصوّر أناس مسلمين لا يفهمون من الإسلام سوى الصلاة والصوم والطهارة والنجاسة فقط، وتكون شؤون الإسلام الرئيسيّة كإدارة نظام الحياة، وقضايا الاقتصاد والعلاقات الثقافيّة والاجتماعية والتربية والتعليم كلّها غير إسلاميّة، بل تصدر من قوانين غير إسلاميّة أو عن رغبات فرديّة وغير إسلاميّة، فيجب أن يحكم الإسلام في المجتمعات الإسلاميّة. إذاً كان للغدير هذا النداء وهذه الرسالة، فإن الكثير من المجتمعات تتلقّى الضربات اليوم جرّاء عدم اعتقادها بهذه القضيّة.

والنقطة الثانية: هي أنّ بعض الدول الّتي تتظاهر بتطبيق أحكام الإسلام بنحو ما، وتستند إلى آية أو رواية لتمرير شؤونها وتستأجر بعض المعمّمين ليفتون ويديرون أعمالها، فهذه الدول وإن كان فيها شيء من حاكمية الإسلام ـ ولو ظاهريّاً ـ لكن هذه الحاكميّة غير مقرونة بالقيم والمعايير النبويّة والولائيّة: لا العلم، ولا التقوى، ولا العدالة، ولا العبوديّة للّه، ولا الخشية من اللّه، ولا حالة التضرّع والخضوع «**ترتعد فرائصه في المحراب**» الّتي هي سيرة الأنبياء والأولياء، الّذين كانوا قدوةً للجميع ومقرّبين إلى اللّه، بل هي بعيدة جداً عن الدِّين ـ إن لم نأت بتعابير أشدّ وأوضح ـ.

إذاً الغدير مفهوم راق ومنقذ، والولاية في الإسلام مفهوم سام، فليُعْلَم ذلك وليَفْخر الشيعة بذلك، وليحاول غير الشيعة معرفته.

واعلموا أيّها الإخوة والأخوات أبعاد تآمر العدو، فإن من الأعمال الّتي يقوم بها العدوّ اليوم ـ وللأسف ـ هو حرف وقلب عقائد الشيعة في العالم، فقد تفرّغ البعض خصيصاً لهذا الأمر، يقبض الأموال ويؤلّف الكتب لقلب وتحريف عقائد الشيعة؛ حتّى لا تجذب الثورة الإسلاميّة وحركة الصحوة الإسلاميّة المسلمين إليها.

لهذا فعلى من يمكنه إيصال الرسالة الصحيحة للشيعة إلى العقول والأذهان والقلوب الظِماء أن يفعل ذلك، فهذا عمل مهمّ جداً.

الولاية نبع لا ينضب

أمّا في مجتمعنا، فإن التمسّك بعرى الولاية قد توثّق أكثر من ذي قبل، وأظهر تأثيراته في جميع أبعاد هذا المجتمع، فكان الأمر كذلك منذ الوهلة الأولى للتحرّك الثوري، واستطاع إمامنا العظيم قدس سره بالاستعانة بعرى الولاية من تحقيق النصر لهذه الثورة.

فقضيّة عاشوراء وكربلاء تعتبر من عرى الولاية، وكذا محبّة أهل البيت عليهم السلام والسعي للتأسي بهم، وروحيّة الجهاد والصبر عليه من خصوصيّات ومعارف الولاية.

فالإمام استطاع بهذه الوسيلة من تحقيق النصر لهذه الثورة وتشكيل هذا النظام الإسلامي، حيث أنّ هذا النظام يرتوي حالياً من معين الولاية، فلا تطبّل الأبواق المعادية بأنّ هذه الثورة شيعيّة محضة، كلاّ، فإن من خصوصيّات جوّ الولاية أن فَتَحَت أعيننا على المفاهيم الإسلاميّة، إذ أنّنا وببركة تعاليم أئمّتنا عليهم السلام قد استفدنا من المفاهيم الإسلاميّة والقرآنيّة بالحدّ الأقصى، فالشيعة هم أتباع أهل البيت عليهم السلام.

واليوم أيضاً فإن الأمر ـ ولله الحمد ـ بقي كذلك، فحالة التراحم والتعاطف والمحبّة الشديدة بين الناس وتجاه المظلومين والمحرومين، وتجاه الشعب الفلسطيني والمظلومين في أوروبا والعالم، هي روحيّة شيعيّة نابعة من الولاية.

إنّ نبع العاطفة فيّاض في مجتمعنا وذلك ببركة الولاية، فهذه الدموع والمراثي، وهذه الاجتماعات ومحرّم وعاشوراء، كلّها تترك آثارها على معنويّات شعبنا وعلى الجوّ الحاكم في مجتمعنا، فمجتمعنا لا يتّصف بالجمود كبعض المجتمعات المعادية للشيعة، حيث حكوماتها تخلق العداء للشيعة، بل إنّ مجتمعنا يتّصف بالحيويّة والنشاط والعَطف، وهذه من خصوصيّات الولاية، كذلك الصمود أمام العدوّ يعتبر من خصوصيّات الولاية. فأئمتنا عليهم السلام الذين صمدوا في أحلك الظروف، قد تحملوا أنواع المعاناة في سبيل الله، فالإمام موسى بن جعفر عليه السلام الذي تحمل سنيّ السجن، والإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام الذي

واجه العدو بسياسة إلهيّة، وكذلك أبناءه الذين تحملوا عناء النفي سنين متمادية، فالأئمة عليهم السلام وأبناءهم قد عانوا ما عانوا من ظلم واضطهاد طوال الـ (٢٥٠) سنة[١].

مغزى واقعة الغدير

لا تنظروا إلى الغدير في حدود تنصيب أو تعريف عادي حيث قام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بتعريف شخص ما، ولا شك ـ بطبيعة الحال ـ أنّ النبي نصّب أمير المؤمنين للخلافة على مشهد عشرات الآلاف من المسلمين، وليس هذا بالأمر الذي يرويه الشيعة فقط، بل إنّ واقعة الغدير مما يرويها إخواننا أهل السنة ومحدّثوهم بنفس المواصفات التي ينقلها الشيعة، وهو ليس بالأمر الذي يسع المرء إنكاره؛ بَيْدَ أنّ القضية لا تقف عند هذا الحد.

القضية هي: أنّ ذروة ما بلغه مزيج الدين والسياسة بصورته الرائعة البديعة، وتبلوره كسنّة خالدة تؤمّن الهداية للمجتمع منذ عهد آدم حيث انطلقت النبوّات والرسالات وتشكّلت حكومات الأنبياء مرّات ومرّات على مرّ التاريخ ـ من قبيل حكومة سليمان وداود وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل حتى عهد نبيّنا ـ قد تحقق في واقعة الغدير، لذا فإننا نقرأ في دعاء الندبة ـ كما أشرت ـ «**فلما انقضت أيامه أقام وليَّه علي بن أبي طالب صلواتك عليهما وآلهما هادياً، إذ كان هو المنذر ولكل قوم هاد**».

يا حبّذا أن نتوجّه بدقّة وتمعّن لِمْا بين أيدينا من معارف؛ ننهل منها أفكارنا بفضل هدي أهل البيت عليهم السلام، ودعاء الندبة ـ كما أسلفت ـ خطبة غرّاء تستعرض تاريخ هذا الفكر وجذور هذه المسيرة منذ عصر الرسالات، وإذا ما تمعّنتم جيداً فلن تجدوا في هذا الدعاء موضعاً يثير الاختلاف بين الشيعة والسنة ـ حيث النزاع التاريخي الذي أجّجه أناس تحرّكهم دوافع شتّى ـ وفيه يتمّ بيان قضية الإمامة والولاية بشكل استدلالي «**إذ كان هو المنذر ولكل قوم هاد**»؛ أي أنّ للنبي موقع الرسالة والإنذار والتبشير فهو البادئ في شقّ

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٨/ ذي الحجة/ ١٤١٥ هـ ـ ق.

الطريق والفاتح للآفاق أمام البشرية.

بَيْدَ أنّ النبي ليس مخلّداً وأزلياً، والمجتمعات بحاجة لمن يهديها، والإسلام قد تكفّل بهذا الهادي، وهم المعصومون الذين يتوالون جيلاً بعد جيل فيمسكون بزمام الأمور، ويتصدّون لهداية البشرية من خلال التعاليم القرآنية الأصيلة الخالصة أجيالاً وقروناً.

وهم في الحقيقة إنما يقومون بعملية تجذير للأفكار والخصال والسلوكيات والأخلاق الإسلامية في المجتمع؛ لتبقى حجة الله حيّة فيما بعد في أوساط المجتمع، فلا وجود للدنيا والبشرية دون حجة قائمة، على أن تشقّ البشرية طريقها؛ وهذا ما لم يتحقق، وهذا هو ما خطط له الإسلام ومشروعه الشامل، وهذا هو المغزى من الغدير.

الإمامة هي تلك القمّة في المعنى المنشود من إدارة المجتمع، قبال ضروب وأصناف الإدارة المنبثقة عن مكامن الضعف والشهوة والحمية في الإنسان ومطامعه، والإسلام يطرح أمام البشرية نهج الإمامة وصفتها؛ أي ذلك الإنسان الطافح قلبه بفيض الهداية الإلهية، العارف بعلوم الدين المتميّز بفهمه ـ أي يجيد تشخيص الطريق الصحيح ـ ذو قوة في عمله ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[1] ولا وزن لديه لنفسه ورغباته الشخصية، لكن أرواح الناس وحياتهم وسعادتهم تمثّل أهم ما لديه؛ وهذا ما عبّر عنه أمير المؤمنين عملياً أثناء حكمه الذي استمر أقل من خمس سنوات، فإنكم تلاحظون أنّ فترة ما يقل من خمسة أعوام هي فترة حكم أمير المؤمنين تمثّل أنموذجاً ومقتدىً لن تنساه البشرية أبداً، وستبقى خالدة وضّاءة قروناً متمادية، وهذه هي ثمرة واقعة الغدير والدرس والمغزى والتفسير المستقى منها[2].

---

(١) سورة مريم. الآية: ١٢.

(٢) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٨/ ذي الحجة/ ١٤٢٢هـ.ق.

رسالة الغدير

إنّه ليوم عظيم حقّاً وعيد حاسم وجليل يستحقّ الاهتمام والدراسة سواءً من ناحية شخصية أمير المؤمنين عليه السلام وسجاياها وأبعادها الذاتيّة والسياسية والاجتماعية المتوفّرة كلّها في هذا الرجل الربّاني والملكوتي؛ والذي لا نعهد رجلاً يحمل هذه الخصال بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم غير أمير المؤمنين، أو من ناحية الحادثة نفسها وهذا التنصيب العجيب.

فيما يخصُّ أمير المؤمنين عليه السلام: فعلى جميع الواقفين بالأدلة على كراماته أن يقرّوا بأنّ شخصية أمير المؤمنين الشامخة لم تكن وليدة واقعة الغدير، فما كان للغدير أن يصنع جوهر أمير المؤمنين عليه السلام الفريد، إنّما الغدير حصيلة تلك الفضائل والمزايا والكمالات.

نعم، الأمر الإلهي والتنصيب النبوي وبيعة المؤمنين والصحابة فضيلة كبيرة، إلاّ أنّ الأهمّ من ذلك هي السجايا التي اجتمعت في هذا الإنسان العظيم والفريد وأدّت إلى هذا التنصيب والبلاغ الإلهي.

كما أنّ حادثة الغدير بنفسها ذات أبعاد كثيرة، وبإمكان المسلمين ـ حقّاً ـ أن يتّخذوا منها وسيلة لتقدّم العالم الإسلامي وهدايته هداية وافية وكاملة.

لم ينكر أحد وقوع هذه الحادثة وصدور تلك الكلمات عن نبي الإسلام الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ففي مثل هذا اليوم (الثامن عشر من ذي الحجة) بادر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وفي ذلك الظرف المهم والحسّاس وفي آخر أشهر حياته المباركة إلى تنصيب أمير المؤمنين ومنحه الولاية؛ أي الحكومة وإدارة المسلمين والمجتمع الإسلامي.

الولاية التي أشار إليها نبي الإسلام هنا ليست هي الولاية الإلهية المعنوية الكلّية المبتنية على أمور وعناصر أخرى، بل أراد بهذا البيان التشريعي: «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**» أمراً إلهياً وسماوياً وملكوتياً غنياً عن الجعل والتنصيب.

وهذا البلاغ من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منح الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام وهذا المنصب

التشريعي يعني الحكومة وإدارة المجتمع الإسلامي، وولاية أمر المسلمين المصحوبة، طبعاً بتلك الولاية الإلهية العامة التي توفّرت في الشخص المقّدس للنبي وأئمة الهدى عليهم السلام.

فالولاية بذلك المعنى كانت موجودة حتّى عند الأئمة الذين لم يمارسوا الولاية الظاهرية، فما تمتّع به أمير المؤمنين المنصّب من قِبَل النبي هي الولاية السياسية، وهو المعنى الذي أوجده الله عزّ وجلّ في الإسلام على يَدْ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

إذاً فقد اتّضح أنّ الإسلام يدعو في أرقى أحكامه وقوانينه إلى مسألة الحكومة والولاية وإدارة الأمة، فلابدّ من دراسة حادثة الغدير في هذا البعد، كما ينبغي محو الكثير من الأخطاء التي تركّزت في الأذهان ـ مع الأسف ـ طوال قرون.

إنّ الذين تظاهروا بالدفاع عن الدين، وقالوا: لا ينبغي للدين أن يتدخّل في السياسة إنّما أرادوا أن لا تتدخّل الأحكام الإسلامية ودعاة الإسلام في حكوماتهم؛ لذا فإنّ السلاطين المستبدّين هم أول الدعاة إلى الفكرة المنحرفة التي تدعو إلى (فصل الدين عن السياسة)، وهذا هو أسلوب إعلامي جديد مارسه الاستكبار ضدّ حكومة الإسلام وحياته الجديدة.

طبعاً منذ قرون وقوى الاستبداد ـ أي القوى المتجبّرة التي استولت على مقدّرات المجتمع بالقهر وكانوا يريدون أن يمارسوا بحرّية أصناف السياسات بحقّ شعبهم وبلادهم ـ تدعو إلى فصل الدين عن السياسة، وهم الذين روّجوا ونادوا بفكرة فصل الدين عن السياسة قبل المستعمرين والأعداء.

ففي عهد ناصر الدين شاه[1] لو تدخّل عالم الدين في أمر سياسي وأحبط جميع

---

(١) ناصر الدّين شاه هو ابن محمّد شاه القاجاري، ولد في عام ١٢٤٥ هجريّة وجلس على عرش إيران في عام: ١٢٦٤ هجريّة (١٨٤٧ ـ ١٨٩٦م) وامتاز عهده الطويل بالعلاقات الودية مع روسيا، مما أثار بريطانيا وأعلنت الحرب على إيران، وعجزت روسيا عن مساعدة إيران فاضطر ناصر الدين شاه إلى التسليم، وأبرمت معاهدة باريس عام ١٨٥٨، والتي

المؤامرات والحيل الاستعمارية ـ التي تضمن المصالح المشتركة للشركات والبلاط الملكي في إيران ـ، أما كانت حاشية ناصر الدين شاه وبطانته تفكّر أن لماذا يتدخّل الدين في السياسة؟ وهذا المعنى موجود بالفعل في الأعمال الأدبية في عصر ناصر الدين شاه ـ منتصف وأواخر العهد القاجاري ـ.

إذاً فالمسألة تعود أوّلاً إلى المستبدّين وعملائهم في بلادنا والبلدان الأخرى، الذين كانوا يخشون ويخالفون أنواع التدخّل من قبل الدين وعلمائه والدعاة إليه في مجال السياسة.

ولمّا وجد المستعمرون أنّ هذا شعار خلاّب تمسّكوا به واتّبعوه بعد أن فُرض على خلفيات الكثير من العلماء والمتديّنين من الناس، وطُفق يُستدلّ على صحّته حتّى اتّخذ قالباً مبنائياً وفكرياً. هذا فيما يتعلّق بالماضي.

من جملة الخدمات العظيمة التي أنجزتها الحركة الدينية العظيمة للشعب الإيراني هي إزالة هذه الأسطورة الخاطئة والقضاء عليها، فنزلت الجماهير إلى الساحة، ورفعت راية الحرّية بدافع من الدين وأوامره يتقدّمها دعاة الأحكام الدينية والعلماء الكبار، حتّى انتهى الأمر إلى حاكمية دين الله في هذه البلاد واتّضح للمسلمين أنّ الأمور السياسية والأهم منها الحكومة والولاية قد عُجنت في الدين ولا يمكن فصلها عنه، وعندها ظهرت المعاني الكامنة في النصوص الدينية، وأدرك الجميع أنّهم غفلوا أمراً واضحاً لعدّة سنوات.

بديهي أنّ الانحراف الذي يدعو له أعداء سعادة الأمة يحظى بدعم ومساندة لا يمكن القضاء عليه بهذه البساطة، فقد أقيمت براهين جديدة لفصل الدين عن السياسة من قبيل إذا أدخلنا الدين في السياسة أو إذا استلهمت سياسة البلاد تعاليمها من الدين، وبما أنّ

بمقتضاها اعترفت إيران باستقلال أفغانستان، ومنحت المعاهدة امتيازات وحقوقاً تجارية لبريطانيا في إيران منها؛ منح امتياز (حصر التبغ والتنباك).

الأمور السياسية والحكوميّة تستتبع المشاكل التي تؤدّي إلى عدم الرضا والإحباط، فينتج جرّاء ذلك تنكّر الناس لأصل الدين.

إذاً فعلى الدين أن يتخلّى عن السياسة بالمرّة وأن يحتفظ بقداسته ونورانيّته ويتروّى وينصرف إلى أمور الناس المعنوية والذهنية والروحية!!

إنّ قوى الاستكبار تسعى حالياً وبمختلف الأساليب إلى إشاعة هذه الفكرة في العالم ـ وعلى الأخص في العالم الإسلامي ـ والناسخ لهذه السفسطة هو قضية الغدير.

ففي حادثة الغدير أنجز نبي الإسلام الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أهمّ الواجبات امتثالاً لآيات القرآن الصريحة ﴿**وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾[1]، فتنصيب أمير المؤمنين عليه السلام للولاية والخلافة من الأهمية بحيث يكون عدم امتثاله بمثابة عدم امتثال الرسالة.

والآن فالمراد إمّا الرسالة في خصوص هذه الحادثة ـ لأنّ الله تعالى أمر بامتثالها ـ أو أكثر من ذلك بأن يكون المراد هو أصل رسالة النبي وأنّه إذا لم يبلّغ هذا الأمر فكأنّه لم يُبلّغ أصل الرسالة.

وهذه القضية تحظى بأهمّية كبيرة، أي أنّ إقامة الحكومة ومسألة الولاية وإدارة الدولة من أساسيات الدين، وقد امتثله النبي بعظمته وبذلك الاهتمام أمام أعين الناس، وبشكل لم ينجز معه أيّ واجب آخر كالصلاة والزكاة والصيام والجهاد.

فيجمع الناس من مختلف المدن والقبائل والأماكن في مفترق طرق بين مكة والمدينة ويبلغ هذا الأمر بوصفه أمراً مهمّاً ويدور الحديث في العالم الإسلامي بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بلّغ أمراً جديداً ومع غضّ النظر عن شخص أمير المؤمنين فإن تنصيباً بالشكل الذي التفت إليه الشيعة لم يلتفت إليه الآخرون كثيراً ولم يلاحظوه.

نلاحظ في هذه القضية أهمّية نصب الحاكم، وهذه هي رسالة الغدير، فلماذا لا

---

(١) سورة المائدة. الآية: ٦٧.

يُلتفت إلى النداء الذي صدع به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مؤسّس الإسلام أمام جميع المسلمين وقال: أيّها المسلمون لا تفصلوا الدين عن أساس الحياة وعن مسألة الحكومة ـ التي هي أساس الحياة الفردية والاجتماعية ـ ولا تحصروه في زوايا البيوت الخالية وفي الأذهان والمسائل الروحية، فأساس حياة البشر القائم على الحكومة مسؤولية ملقاة على عاتق الدين، فعلى الدين أن يتولّى ذلك.

ولم يخطر في ذهن أيّ شخص هذا المعنى آنذاك، وهو هل الناس صغار حتّى يكونوا بحاجة إلى (ولي)؟ فهذه سفسطة واهية يطرحها البعض بظواهر علمية واستدلالية، مع أنّ الولاية لا تنحصر بالضرورة في ولاية القاصر، كما أنّ الأستاذ والمعلّم لا يصدق دائماً على معلّم الصف الأول الابتدائي، حتّى إذا قلنا لأستاذ الجامعة إنّه معلم نكون قد وجّهنا إليه إهانة! المعلم في كلّ موقع هو معلّم وفقاً لما يقتضيه المقام، فلمعلّم الجامعة معنى ومقتضى، كما أنّ لمعلّم الصف الأول مقتضي آخر.

وكذلك فإن الولاية على المحجور والصغير لها معنى ومقتضى، وولاية الأمة الإسلامية والحرب والصلح والسياسة لها معنى ومقتضى آخر ولا يمكن الخلط بين هذه الأمور. هذه هي رسالة الغدير.

إنّ لإمامنا الراحل العظيم حقّ كبير في عنق الأمة الإسلامية من هذه الناحية إذ نبّه أفراد الشعب إلى مسؤوليتهم في التدخّل في أمر الحكومة والنظام الإسلامي، ففي النظام الإسلامي لكلّ شخص مؤمن بالعقيدة والشريعة الإسلامية مسؤولية، ولا يمكن لأيّ شخص أن يتنصّل عن مسألة الحكومة ويقول: إنّ هذا أمر سيحدث ولا علاقة لي به فلا يوجد عندنا في النظام الإسلامي وفي مسألة الحكومة والمسائل السياسية والأمور العامة والمجتمع (لا شأن لي بذلك) وهذا أكبر دليل على دخالة الناس.

هذا تعلّمناه من الغدير، ولذا فإن عيد الغدير هو عيد الولاية والسياسة وتدخّل الناس في أمر الحكومة، وعيد أفراد الشعب والأمة الإسلامية، ولا يختصّ بالشيعة، ويجدر

بجميع الأمة الإسلامية أن تعتبر هذا اليوم عيدها، كما هو عيد أمير المؤمنين عليه السلام، وشيعة أمير المؤمنين يحتفلون بهذا العيد بشكل خاص[١].

الغدير امتداد لخط الرسالات الإلهية

في مستهل حديثي أرى من الضروري التطرّق باختصار لمفهوم الغدير، فينبغي أن لا يُنظر إلى واقعة الغدير التاريخية الكبرى التي اتخذناها اليوم عيداً على أنها مناسبة مذهبية؛ فحادثة الغدير بمغزاها الحقيقي لا تخص الشيعة لوحدهم، وإن كان الشيعة يتخذون من يوم تنصيب مولى المتقين للإمامة والولاية عيداً ويقيمون فيه مراسم الشكر، حيث إنّ يوم الغدير يمثّل في الحقيقة امتداداً لخط الرسالات الإلهية بأسرها، وهو تتويج لهذا الخط اللاحب الزاهر على مرّ التاريخ.

وإذا ما ألقينا نظرة على الرسالات الإلهية نجد أنّ الأنبياء والرسل قد تناقلوا هذا الخط اللاحب عبر التاريخ حتى آل إلى النبي الأكرم الخاتم، ثم تجسّد وتبلور عند نهاية حياة هذا الرجل العظيم على هيئة واقعة الغدير[٢].

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٨/ ذي الحجة/ ١٤١٦هـ.ق.

(٢) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٨/ ذي الحجة/ ١٤٢٢هـ ق.

سيماء الولاة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

إنّ التشيّع يعني: التبعية، وإذا لم تتحقق تلك التبعية له عليه السلام فإن ادّعاء الانتساب إليه سيكون ظلماً بحقّه، أضف إلى ذلك أننا نستطيع عبر التعريف بشخصيته العظيمة تنوير أذهان بني عصرنا وقلوبهم فيما يتعلّق بالمسألة الجوهرية في الإسلام، وهي إدارة المجتمعات البشرية في ظل نظام إسلامي ووفقاً للدستور الإسلامي، والمحور في كل شيء حكومة أمير المؤمنين عليه السلام التي استمرت بضع سنين، فلابدّ أن يكون المراد من حديثنا عنه عليه السلام هو التبعية له، ويتعيّن عليّ ـ بطبيعة الحال ـ التأكيد أنه بما أنّ نظامنا الإسلامي القائم في زماننا هذا يرتكز على أساس التبعية للأحكام الإسلامية فإن المعنيين بالدرجة الأولى في اتّباع أمير المؤمنين عليه السلام هم المسؤولون من الطراز الأول وأصحاب المناصب العليا في النظام الإسلامي.

لقد عنى أمير المؤمنين عليه السلام في خطابه كلاً من المسؤولين وأبناء الأمة معاً، والخطاب الموجّه لأبناء الأمة يشمل المسؤولين أيضاً، أما ذلك الموجّه للمسؤولين فهو يختصّ بهم وحسب؛ وهذا ما تعكسه الكتب التي كان عليه السلام يوجّهها، سواء تلك التي خصّ بها مالك الأشتر، أو التي بعثها إلى سائر عمّاله وولاته.

الحكومة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

إنّ المنصب الحكومي ـ كما يراه أمير المؤمنين عليه السلام ـ ينبغي أن لا يتحوّل إلى وسيلة لنيل الدعة والاعتياش والتكسّب الدنيوي، فهو ليس مهنة كسائر المهن؛ إنه تحمّل للمسؤولية، التي لا يسع العمل بها أن يكون وسيلة لأن يجني المرء المكاسب ويجمع الأموال ويؤمِّن مستلزمات حياته وحياة أسرته عن هذا الطريق، أو يعيش حياة السلامة.

إذاً ما الهدف المتوخّى من تسنّم المناصب في النظام الإسلامي؟ أنه تطبيق العدالة وتوفير الحياة الآمنة للجماهير، والتمهيد لإقامة مجتمع إنساني تتفتح فيه القابليات الضرورية؛ لسمو بني البشر وهدايتهم وصلاحهم؛ وإذا ما عرفنا أنّ هذا الهدف هو الذي يعنيه أمير المؤمنين عليه السلام، إذ ذاك يتحقق المعنى المتوخّى من كل تلك الكلمات الصادرة عنه عليه السلام.

لقد عبّر أمير المؤمنين عليه السلام عن استعداده لتحمّل أحلك الظروف وأقساها على أن لا يلقى الله سبحانه وهو ظالم لأحد من العباد، يقول عليه السلام: **«وَاللهِ لأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ**[١] **مُسَهَّداً**[٢]**، أَوْ أُجَرَّ فِي الأَغْلاَلِ مُصَفَّداً**[٣]**، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ»**[٤].

وفي موضع آخر من نهج البلاغة يقول عليه السلام: **«إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ»**[٥]؛ أي لا يحق لذوي المناصب في النظام أن يقرنوا أنفسهم

---

(١) كأنه يريد من الحَسَك: الشوك. والسَّعْدان: نبت ترعاه الإبل له شوك تشبه به حلمة الثدي.

(٢) المُسَهّد: من سهّده إذا أسهره.

(٣) المصفّد: المقيّد.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: (٢٢٣).

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: (٢١٥).

مع الأعيان والنبلاء، ويقولوا مادام هؤلاء يتمتعون بمثل هذه الحياة والرفاهية فالأحرى بنا نحن المسؤولين في الجمهورية الإسلامية أو النظام الإسلامي أن نعيش مثلهم، ومادام الزعماء والوزراء في سائر الدول التي تحكمها نظم غير إلهية يحيون بهذا المستوى من الحياة أو يتمتعون بأسباب الدعة أو الإمكانيات المادية فلابدّ أن نحذو حذوهم.. كلا، فلا يحق لهم مقارنة معيشتهم مع ما يعيشه الأعيان والنبلاء والمتمكّنون أو المنحرفون؛ إذاً مع من يتحتم عليهم مقارنة حياتهم؟ «**أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ**»[1]؛ مع البسطاء من الناس، والتعبير بـ (بِضَعَفَةِ النَّاسِ) لا يعني العيش مثلهم، فربما لا يستطيع المرء العيش بحيث يقتّر على نفسه، بل مقارنة النفس ومقايستها إليهم، لا الأعيان والأشراف أو هذا الثري وذاك التاجر؛ فصاحب المنصب في النظام الإسلامي لا ينبغي له العيش كالأعيان والأشراف والمتمكّنين وأثرياء المجتمع، أو كالمسؤولين في الدول التي لا يحكمها نظام إسلامي.

إنها ثقافة خاطئة أن يمتلك مَن يصل إلى المسؤولية أو المنصب الحكومي داراً فارهة أو واسطة نقل من طراز حديث، أو يتنعمّ بإمكانيات معاشية خاصة، فذلك لا ينسجم مع التعاليم الصادرة عن أمير المؤمنين عليه السلام التي لا تقتصر على ذلك العصر، بل تمتد إلى جميع الأعصار، ولم يكن العوز وقتذاك يطال الناس بأجمعهم، بل إنّ الفتوحات درّت على البلدان الإسلامية ثروات طائلة، وكان هنالك من الأثرياء والتجّار مَن عاشوا حياة مرفّهة، وسواء كان ذلك عن طريق الحلال أو الحرام فلا شأن لنا بأفعالهم.

وفي زماننا هذا يأتي نداء أمير المؤمنين عليه السلام ليقول: ينبغي أن لا تتّسم معيشتكم بالدعة، وهذا ما يُعنى به المسؤولون في النظام الإسلامي، إذ عليهم مقارنة أنفسهم مع ضعفاء الناس وليس مع الأغنياء.

---

(١) نفس المصدر.

يقول (عليه السلام) في كتاب آخر بعثه للأشعث بن قيس: «**وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَة، وَلكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ**»[١]؛ فالمسؤولية في النظام الإسلامي عبء يلقى على عاتق الإنسان يتعيّن عليه تحمّله؛ من أجل هدف أو نيّة خاصة. وهذا هو الفهم الصحيح للحكومة والمسؤولية الإسلامية.

إنّ أهم ما يركّز عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) هو: على الحاكم أن لا يتخذ من الحكومة وسيلة للإعتياش وجَنْي العوائد المالية وجمع الثروات، وعليه أن يعتبرها مسؤولية وعبئاً ملقىً على عاتقه، وأن يصبّ جُلّ اهتمامه على البلوغ بهذا العبء إلى الغاية المرجوّة.

النقطة المحورية لهذه المسؤولية تتمثل في مراعاة حقوق الناس والتزام العدالة والإنصاف في القضايا الخاصة بهم، والسعي والجد لتلبية متطلّباتهم؛ فالأصل بالنسبة للحاكم الإسلامي طموحات الناس ومتطلّباتهم.

إذن الوجه الأول لمسألة حاكمية الشعب هو: أنّ الشعب يبادر لانتخاب المسؤولين، أما الوجه الثاني فهو: إذا ما وصل المسؤولون إلى مناصبهم فعليهم أن يركّزوا همّهم في تلبية حوائج الناس والعمل من أجلهم، وهذا ما تفوح به كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ فقد نقل عنه (عليه السلام) قوله لمالك الأشتر: «**وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ... وَكَانَ للهِ حَرْباً**»[٢]. وبالرغم من أنه (عليه السلام) يوجّه خطابه لولاته ـ ومنهم مالك الأشتر، والأشعث بن قيس، وعثمان بن حنيف وغيرهم ـ فإن الخطاب يشمل أيضاً كافة المسؤولين ممن يمسكون ببعض الأعمال على مختلف المستويات.

إذا ما أراد الحاكمون وأصحاب المناصب في النظام الإسلامي الاضطلاع بهذه الواجبات فهم بحاجة إلى خصلة أخرى هي: الإخلاص لله والعمل في سبيله، وإدامة الاتصال به؛ فلا يقتصر ارتباط القائم على الأمور وصاحب المنصب في النظام الإسلامي

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب: (٥).

(٢) نهج البلاغة، الكتاب: (٥٣) من كتاب له (عليه السلام) كتبه للأشتر النخعي (رحمه الله).

على العلاقة مع الأمة، فإذا لم يوثّق علاقته بـالله تعـالى تعثّـر العمـل مـن أجـل النـاس وخدمتهم ـ وتلك هي مسؤوليته الجوهرية التي ينبغي تعزيزها بالارتباط الوثيق مع الولاية ـ من هنا فإن أمير المؤمنين عليه السلام ـ كما ورد في نهج البلاغة ـ يضيف فـي كتابـه لمالـك الأشتر «**وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ الله تعالى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيـتِ**»[١]؛ أي لا تُوكـل حالـة الارتباط بالله والإنابة إليه والتضرّع له إلى أوقات تعبـك وكـسلك، ثـم يقـول عليه السلام: «**وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لله**»؛ أي وإن كانت جميع أعمالك لله حينمـا تكـون مـسؤولاً وذا منـصب فـي الحكومة الإسلامية، والشرط في ذلـك «**إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ**»[٢]، ولكـن في نفس الوقت دع لأعمالك التي هي من العبادات متّـسعاً مـن الوقـت للخلـوة مـع الله سبحانه. هذه هي الصورة لذوي المناصب في النظام الإسلامي وفي قاموس أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب: (٥٣)، مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق.

العدالة .. الغاية المنشودة للحكومة الإسلامية

الحكومة الإسلامية الضمانة الوحيدة لتطبيق أحكام الإسلام:

عبّرت آثارنا الإسلامية عن يوم الغدير بتعابير من قبيل (عيد الله الأكبر)[١]، و(يوم العهد)[٢]، و(يوم الميثاق المأخوذ)[٣] وهو ما يعكس وجود اهتمام وتأكيد خاص لهذا اليوم الشريف، وأهم ما يميّز هذه التعابير هو موضوع الولاية.

إنّ الضمانة الوحيدة لتطبيق أحكام الإسلام هو: وجود الحكومة الإسلامية المؤمنة بسيادة أحكام القرآن، وإلاّ فحتّى لو كان لسائر أفراد المجتمع إيمان وعقيدة وعمل فردي، لكن زمام الأمور ـ سواء في مرحلة التشريع، أم في مرحلة التنفيذ ـ بِيَد الآخرين، فسيبقى تطبيق أحكام الإسلام رهيناً بمدى إنصاف الممسكين بزمام الأمور؛ فإن كانوا مجانبين للإنصاف يحلّ بالمسلمين هناك كالذي تشاهدونه اليوم في كوسوفو[٤]، وشاهدتموه بالأمس في البوسنة والهرسك[٥]، وما كان يجري في بلدنا الإسلامي إيران.

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٣، ١٤٣. باب (٧) الحديث ١.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) كوسوفو هي منطقة متنازع عليها في شبه جزيرة البلقان في جنوب شرق أوروبا. حدها جمهورية مقدونيا من الجنوب الشرقي وصربيا من الشمال الشرقي والجبل الأسود من الشمال الغربي وألبانيا من الجنوب. عاصمتها بريشتينا.

(٥) جمهورية البوسنة والهرسك (Bosna i Hercegovina) هي دولة تقع في البلقان جنوب شرق أوروبا، إحدى جمهوريات يوغوسلافيا السابقة. تقع في جنوب أوروبا. يحدها من الشمال والغرب والجنوب كرواتيا، من الشرق صربيا ومن الجنوب الغربي جمهورية الجبل الأسود، وهي تكاد تكون دولة مقفلة لا ساحل لها على البحر فيما عدا شريط ساحلي طوله ٢٦ كيلومترا على البحر الأدرياتيكي تقع في منتصفه مدينة نيوم الساحلية. تقع الجبال في الوسط والجنوب، والتلال في الشمال الغربي أما شمال غرب البلاد فهي مستوية. تعتبر البوسنة موطنا لثلاث (عرقيات أساسية): البوشناق وهم أكبر المجموعات العرقية الثلاث، يليها الصرب ثم الكروات. بغض النظر عن العرقية فإن مواطني تلك الجمهورية يسمون باسم البوسنيين.

أمّا إذا كان لدى الحكّام شيء من الإنصاف فَهُم يسمحون للمسلمين بمراعاة بعض أحكام الإسلام في إطار دائرة بيوتهم، أو على أكثر الاحتمالات ضمن دائرة الحارة والمحلّة، ولكن بعيداً عن التطبيق الكامل لأحكام الإسلام. ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ**﴾[1].

كانت قضية الحكومة من أهم القضايا التي جاء بها جميع الأنبياء، بدون الإلتفات إلى مقولات البعض ممن يحلو لهم صياغة آراء وهمية مرفوضة في قوالب لفظية معسولة؛ إذ يزعم البعض: أنّ الدين إذا آلَ إليه زمام الحكومة يفقد قدسيّته.

ولكن ما معنى القدسية؟ هل معناها أن يلصق المرء بذاته ميزة أو اسماً أو شيئاً اعتبارياً عارياً عن الحقيقة؟ هل هذا هو معنى القدسية؟ القدسية الحقيقية هي أن تكون هناك حقيقة مُتسَالَم عليها لدى الناس ولها أثر حسن على حياتهم وعلاقاتهم وعلى شؤون دنياهم وآخرتهم، ولها دور في إصلاح الحياة؛ وذلك هو الدين، فإن كانت له مثل هذه المقدرة فهو أهل للقدسية.

وإذا افترضنا أنّ زيداً وعمرواً وغيرهما تصدّوا لزمام الحكومة في ظل ذلك الدين، ثم كيلت لهم التّهم والإهانات والشتائم من قِبَل بعض الجهات، فلا ضير في ذلك.

فما أهمية أن يكون آلاف الآلاف من مثلي وأمثالي ضحية لبقاء الدين؟ أنّ الدين يجب أن يطبّق؛ وهذا ما أعلن يوم الغدير صراحة كحقيقة قانونية في الإسلام.

لقد كانت السيادة للإسلام منذ بداية هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، إلاّ أن الكثير من أناس ذلك العصر عقدوا الآمال على أنّ هذا الرسول الذي جاء بدين الإسلام وألّف به بين القلوب، إذا ما خرج من بين الناس فسينتهي كل شيء، ولكن تعيين الولي وتنصيب الحاكم القادر على النهوض بتلك المهمّة قوّض تلك الآمال في مجال التشريع.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

وأساس القضية هو: أن يكون هناك قانون، ولهذا قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ﴾[١].

وبعد أن عُيّن الولي وحُسم أمر الحكومة وإدارة شؤون البلاد، فلا خوف من العدو الخارجي، بل يجب أن تخافوني أنا ﴿وَاخْشَوْنِ﴾[٢].

ولكن ما معنى الخوف من الله؟ معناه أن يحترس الناس الآن من ذواتهم ومن قلوبهم ومن نفوسهم وعملهم، وأن يواظبوا على التقوى والثبات والاستقامة التي يُرتجى توفّرها لدى كل إنسان يسير على هذا الطريق ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[٣].

وهذه هي مزايا يوم الغدير.

ومع أنّ هذا القانون لم يجد طريقه إلى حيّز التطبيق في واقع حياة الأمة الإسلامية؛ إلاّ أنه حافظ على طبيعته كقانون واتخذ صيغة التكليف؛ وهذا الجانب على قدر كبير من الأهمية.

من الممكن ـ طبعاً ـ أن تتخلّف جماعة عن تطبيق مضمون آية قرآنية لمدة زمنية قصيرة أو طويلة، غير أنّ هذا المعنى يختلف عن عدم نزول آية في هذا المعنى أساساً؛ لأن مثل هذه الآية إنّما نزلت وأضحى لها وجود من أجل أن يعمل بها ذات يوم قوم ما: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[٤].

لا يمكن القول: إنّ هذه الآية لم يُعمل بها ذات يوم على الإطلاق طوال تاريخ الإسلام، بل

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) نفس المصدر.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

لا بد وأنها طُبِّقت يوماً ما، ولا بد أنّ حاكمية الحق والولاية الإلهية قد أجريت في عصر من العصور على يد ثلّة من عباد الله.

ونحن فخورون ـ ونحمد الله ـ على أن حقق هذا الأمر، أي أمر الولاية، في عصرنا على يد أصلح عباده.

هناك فرق بين الحكومة والضمانة الإلهية وبين ما هو غير إلهي؛ لأن الضمانة الإلهية داخلية، وكل من يتّصدى لمنصب لا تتوفّر فيه شروطه، تنخلع هذه الآصرة تلقائياً، وهذه حقيقة في غاية الأهمية، على اعتبار أنّ الولاية تعني الذوبان في الأوامر والنواهي الإلهية.

وهذه الحقيقة تقف على طرف نقيض من ظاهرة التسلّط، التي تعتبر ظاهرة مشهودة في الحكومات المادية والبشرية.

تتصف الحكومة البشرية بالأنانية، والسعي لإبراز مظاهر الاقتدار والقوّة، إضافة إلى العجب والغطرسة وفقدان الغيرة، في حين تتصف الحكومة الإلهية بما ينافي ذلك أساساً، وأفضل تجسيد لمواصفات الحكومة الإلهية هو أمير المؤمنين عليه السلام، إذ اتّصف حتّى في عهد حكومته بتواضع بلا ضعف وقوّة بلا غرور؛ ففي الوقت الذي كان يُجابَه فيه المجرم، والمنحرف، ومّنْ يجب إجراء الحدّ الإلهي عليه، والعدو ـ في ساحة الحرب ـ بكل حزم، لا نجد في شخصه شيئاً من الأنانية التي تطغى على وجود جميع الكائنات، وتُوقع الكثير منها في مهاوي الهلكة والضياع، وكل ما يسم شخص علي عليه السلام هو الذوبان في الإرادة الإلهية، وطاعة الله وعبادته.

إنّ أفضل تعريف للإنسان ـ في المعايير الإلهية والإسلامية ـ هو العبودية لله؛ ففي قولنا: أشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، تقدّم ذكر العبادة على ذكر الرسالة.

وهكذا كان أمير المؤمنين عبداً مطيعاً لله.

فمعنى الولاية ـ في المصطلح الإسلامي ـ هو: أن تكون هناك حكومة قوية، ولكنها

في الوقت ذاته خالية من النزعة الأنانية التسلطية، وأن تتسم بالحزم والقاطعية ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ**﴾[١]، ولكنها في ذات الوقت خالية من مظاهر الاستبداد بالرأي.

إنّ الذين يعارضون الحكومة الإسلامية ومبدأ الولاية إنّما يخشون المُثُل الموجودة فيها، وأمّا حمل معنى الولاية على معان أخرى، فهو إمّا ناتج من جهل وسوء فهم، أو نابع من عناد وتوجّهات مغرضة.

الولاية معناها: أن تكون الحكومة على درجة عالية من القوّة، ويتّصف الحاكم فيها بالعزّة والحزم، إلاّ أنّها في الوقت ذاته منزّهة عن معالم الاستبداد والأنانية والتسلّط والطمع، وهذه من السمات البارزة لهذه الحكومة[٢].

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٨/ ذي الحجة/ ١٤١٩ هـ ـ ق.

الفصل الثالث

في وصايا الإمام

أمير المؤمنين عليه السلام

قراءة في أهمية الوصية العلوية الخالدة

إنّ للإمام وصايا عديدة أوصى بها الإمام الحسن (عليه السلام) أو الإمام الحسن والإمام الحسين (عليهما السلام) معاً، أو أقواله للآخرين التي هي بمثابة وصاياه أيضاً، إلا أنّ هناك وصية قصيرة للإمام (عليه السلام) أوصى بها من بعد أن جُرِح في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك أودّ تبيانها لكم.

والسبب في أهمّية هذه الوصية هو أنّ الإنسان في اللحظات الأخيرة من عمره يسعى أن يبيّن حقيقة أفكاره وآرائه ومكنونات قلبه إلى أفضل الناس وأكثرهم أمانة لديه، وأمير المؤمنين (عليه السلام) هو أعجوبة الخليقة والشخص الثاني بعد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلم المجاهد في سبيل اللّه (جاهد في اللّه حقّ جهاده)، والزاهد والحاكم والسياسي من الطراز الأوّل ومنزلته في السماء أشهر ممّا هي في الأرض، ومحبّيه من ملائكة السماء أكثر من محبّيه من أهل الأرض.

إنّ مثل هذا الإنسان المرتبط بالملكوت الأعلى والعارف بكلّ المعارف الإلهية المتعالية، ويمتلك كلّ هذه السجايا والخصال عندما يشعر باقتراب أجله يرى أنّ الوقت يمرّ بسرعة، فيجب عليه أن يبادر إلى تبيان الأمور المهمة.

وعندما ضُرب (عليه السلام) في المسجد كان يعلم أنّ حياته مشرفة على الانتهاء فأراد أن يوصي أولاده وأهل الكوفة وجميع المسلمين الحيارى في ذلك العصر ويصدر بياناً مقتضباً يبقى خالداً على مدى التاريخ، وقد تمّ انتخاب فقرات هذا البيان بدقّة متناهية من قبله (عليه السلام).

وقد يشعر الإنسان بعدم التجانس بين فقرات هذه الوصية عندما تكون نظرته إليها سطحية، فتارةً يوصي بأمر غايةً في الأهمّية من وجهة نظرنا يتبعه فجأة بآخر ليس له نفس المستوى من الأهمّية، ولكن نظرة علي (عليه السلام) للأمور كنظرة اللّه لجميع الموجودات

في العالم نظرة إلهية وصائبة، والأمور الصغيرة والكبيرة تختلف في المقياس الإلهي والمقياس العَلَوي عما هي عليه في مقاييسنا نحن.

ونحن قاصرون عن الوصول إلى هذا المستوى ولكن حينما نقوم بتحليل تلك العبارات ـ ولو من بعيد ـ فسنجد أنّها متناسقة كلّ التناسق ونُظِّمت بصورة دقيقة جداً، فلنستمع إليها بدقّة وإمعان.

«ومن وصيّة له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ورده ابن ملجم (لعنه اللّه)»[1].

لقد دعا الحسن والحسين عليهما السلام وأوصاهما بتلك الوصايا على الرغم مما كان يعانيه من ألم وحمّى على إثر نفوذ السم إلى بدنه الطاهر، وقد تكون الآلام مانعة للإنسان الاعتيادي عن أن يقوم بتأدية واجبه إلا أنها لا تستطيع أن تمنع شخصاً كعليٍّ عليه السلام من ذلك، فأراد عليه السلام أن يبادر إلى استغلال تلك الساعات القليلة التي أعقبت ضربته وحتى استشهاده عليه السلام، والتي لم تتجاوز ٤٨ ساعة لإنجاز الأعمال الضرورية وأهمّها كانت وصيّته عليه السلام.

وصيته عليه السلام بالتقوى

«أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللهِ».

فبدأ وصيته بدون أي مقدّمة بالدعوة إلى تقوى اللّه سبحانه وتعالى، وكنتُ قد تحدّثت في الجمعة الأولى من شهر رمضان بشكلٍ مجمل عن مسألة التقوى.

فالتقوى تعني كلّ شيءٍ للإنسان، وهي دنيا الأمة وآخرتها والزاد الحقيقي في هذا الطريق الطويل الذي لابدّ للبشرية أن تقطعه، فالتقوى هي كلام أمير المؤمنين عليه السلام الأوّل والأخير، وهي مقدّمة على كل شيءٍ في حياة الإنسان، فكأنّه عليه السلام يريد أن يقول:

---

(١) نهج البلاغة، قسم الكتب، الكتاب: (٤٧).

يجب عليكم يا أولادي مراقبة أنفسكم وأعمالكم ووزنها بالمعيار الإلهي الحق.

وليس كلامه (عليه السلام) في مسألة الخوف من اللّه، كما فُسِّرت التقوى من قبل البعض بأنّها الخوف من اللّه وخشيته سبحانه وتعالى. صحيح أنّ الخشية والخوف من اللّه تعالى لها قيمة وتُعتبر من أنواع التقوى إلا أنّ التقوى الحقيقية تعني: مراقبة الإنسان المستمرة لأعماله كي تكون منطبقة مع المصالح الإلهية التي يقدِّرها المولى سبحانه وتعالى له، وهذا أمر لا يمكن للإنسان أن يستغني عنه بأيِّ حالٍ من الأحوال.

وإذا حاولنا الاستغناء عن هذه الحالة فالطريق أمامنا مليء بالأخطار والوادي عميق تحت الأقدام وسننزلق بلا ريب، إلا أنّه قد نعثر على حجر أو شجر نتشبث به لعلّه يعيننا على الصعود إلى الأعلى من جديد: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**﴾(١).

فالإنسان المتّقي عندما يشعر بمسّ الشيطان له يتذكر اللّه ويعود إلى نفسه حالاً بالمراقبة والمحاسبة، وعلي (عليه السلام) يعلم أنّ الشيطان لن يتركنا أبداً فلابدّ أن تكون الفقرة الأولى من الوصية هي تقوى اللّه سبحانه وتعالى.

وأخذ بعد ذلك يوصي بالأمور المهمة الأخرى، فقال:

وصيته (عليه السلام) بعدم اتباع الدنيا

«وَأَنْ لاَ تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا»

هذه هي الفقرة الثانية وهي من مستلزمات التقوى وكلّ الأعمال الصالحة هي من مستلزمات التقوى، ومن جملة هذه الأعمال هو الأمر الذي ذكره (عليه السلام)، فلم يقل اتركوا الدنيا بل أوصى بعدم اتّباع الدنيا وبالتعبير الشائع عدم الركض وراء الدنيا.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

فماذا تعني هذه الدنيا التي لا ينبغي السعي وراءها؟ هل تعني إعمار الأرض وإحياء الثروات الطبيعية؟ وهل هذه هي الدنيا التي ذمّها أمير المؤمنين وحذّر منها؟

لا، ليس الأمر كذلك، فالدّنيا التي لا ينبغي اللهث وراءها تعني طلب اللّذات والسعي وراء الشهوات، أمّا إذا كان الهدف من إعمار الأرض خير البشرية وصلاحها، فهو الآخرة بعينها وهو أمر يجب السعي إليه.

أمّا الدنيا المذمومة والتي نُهي الإنسان من السعي وراءها فهي الأعمال التي تصد عن السير في طريق الخير والصلاح وتسلب منه إرادته وتستهلك قواه وسعيه وهمّته، وهي تعني الأنانية وحبّ الذات والسعي وراء جمع الأموال والسعي وراء اللّذات.

وهذه الدنيا على قسمين فمنها المباح ومنها الحرام، فليس كلّ ما يطلبه الإنسان لنفسه من اللذات حرام بل إنّ ما فيه المباح أيضاً، ولكن أهل البيت عليهم السلام أوصوا بالابتعاد حتى عن اللذات المباحة عندما يصبح هدف الإنسان من الدنيا طلب اللذات والشهوات فقط.

فاجهدوا أن تسير مظاهر حياتكم المادية والمعنوية في المسير الإلهي المرسوم لها، فإنّ كلّ الأعمال الدنيوية يمكن وضعها في هذا المسار إذا كان الهدف منها هدفاً مقدّساً، فحتّى التجارة ـ مثلاً ـ يمكن أن تُجعل في سبيل اللّه عندما يكون الهدف منها تحسين الوضع الاقتصادي للمجتمع وليس ادّخار الأموال الطائلة فقط.

إذن كانت الفقرة الثانية من وصيته عليه السلام هي عدم السعي وراء الدنيا بالمعنى الذي ذكرناه آنفاً، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام هو المصداق الأكمل لتلك الوصايا وقد جسّدها بشكل كامل في حياته وسلوكه، فإذا ألقينا نظرةً على حياته عليه السلام فسنجدها تجسيداً حيّاً لكلّ ما أوصى به عليه السلام.

«وَلاَ تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا»

أي لا تأسفا على ثروة أو لـذّة أو منـصب لـم تحـصلوا عليـه، لا تتأسّـفوا لأنّكـم لا تملكون وسائل الراحة والرخاء، ولا تأسفوا على أي شيء فاتكم من هـذه الـدنيا الدنيـة أبداً.

وصيته عليه السلام بقول الحق

«**وَقُولاَ لِلْحَقِّ**»، أو في نسخة أخرى: «**وَقُولاَ بِالْحَقِّ**».

ولا فرق بينهما، ومعناه: لا تكتموا شيئاً عندما تعتقدون أنّه حقّ فيجب عليكم إظهاره حينما تدعو الضرورة لذلك.

إنّ جميع المصائب حلّت بالمجتمعات عندما قام الذين يعرفون الحق بكتمانه وعدم السعي لإظهاره، بل سعوا لإظهار الباطل أحياناً أو جعلوا الباطل حقّاً أحيانـاً أخـرى، ومـا كان الحق ليُظلم لو بادر الذين عرفوه لنشره وإظهاره، ولما طمع أهل الباطل فـي القـضاء عليه.

وصيته عليه السلام بالعمل للأجر الحقيقي والإلهي

«**وَاعْمَلاَ لِلأَجْرِ**»

يعني الأجر الحقيقي والإلهي، فلا تعمل عبثاً أيّها الإنسان، إنّ عمرك وعملك وحتـى أنفاسك هي رأس مالك الوحيد والحقيقي فلا تفرّط بـه، فـإذا أردت أن تعمـل عمـلاً أو تتنفّس نفساً أو تصرف قواك في شيء فليكن ذلك من أجل الحصول على أجرٍ يتناسـب مع ذلك.

فما هو هذا الأجر الذي يجب أن نحصل عليـه؟ هـل هـو دراهـم معـدودة نحـصل عليها؟ هل هو جلب رضا فلان وعلاّن من الناس؟ هل هذه الأمور هـي الأجـر الحقيقـي

لضياع عمر الإنسان؟ من المؤكّد أنّ الجواب على ذلك سيكون بالنفي.

أتذكّر رواية عن الإمام السجاد عليه السلام يقول فيها: «**فليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة، ألا فلا تبيعوها بغيرها**»[1].

فكلما يكون الأجر أقل من ذلك فإن الغبن سيكون من نصيبنا، فلتكن أعمالنا من أجل الأجر الحقيقي وهو الأجر الأخروي.

وصيته عليه السلام بالعداء للظالم وإعانة المظلوم

«وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً»

الخصومة غير العداوة، فبغض الظالم ومعاداته غير كافية لأنّ الخصومة تعني الأخذ بتلابيب الظالم وعدم تركه.

لقد اكفهرّ وجه البشرية منذ وفاة أمير المؤمنين عليه السلام وحتّى اليوم بسبب عدم إظهار الخصومة للظالمين، ولو أنّ الأيدي المؤمنة كانت تضيّق الخناق على الظالمين لما سنحت الفرصة للظلم كي ينتشر بهذا الحجم الواسع في العالم، بل كان ذلك يؤدّي إلى انحصاره وإسقاطه والقضاء عليه.

وما يريده أمير المؤمنين عليه السلام هو (كن للظالم خصماً)، فأينما يوجد ظالم يجب على الإنسان أن يضع نفسه موضع الخصومة له، وليس من الضروري إبراز هذه الخصومة دوماً، ولكن عندما تحين الفرصة فلابدّ من إبراز تلك الخصومة والأخذ بتلابيب الظالم ولو من بعيد إذا تعذّر ذلك عن قرب.

واليوم نرى أنّ العالم يغطّ في مستنقع الرذيلة نتيجةً لتركه لهذه الفقرة من وصية أمير المؤمنين عليه السلام، فأيّ ذلٍّ وامتهانٍ تعيشه البشرية اليوم؟ وأيّ ظلم ذلك الذي تمرّ به

---

(١) الكافي، ج: ١، ص: ١٩. كتاب العقل والجهل.

الشعوب الإسلامية المعاصرة لابتعادها عن الإسلام؟

ولو عُمل بهذا الجزء من وصيته عليه السلام لما وجدنا اليوم أثراً لكثيرٍ من تلك المظالم ولا المصائب المترتّبة عليها.

ويؤكّد عليه السلام على الأمر المهم الآخر فيقول: «**وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً**»، يعني: إذا وجدت مظلوماً فكن عوناً له، لم يقل كن مؤيّداً له بل يقول أعنه بكل ما تستطيع وكلّ ما يبلغه وسعك.

إلى هنا كان الخطاب موجّهاً إلى الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام، طبعاً هذا لا يختصّ بهما فقط، فبالرغم من أنّ خطابه كان موجّهاً إليهما إلا أنّ وصيّته عامة تشمل الجميع، بينما العبارات التالية يقولها أمير المؤمنين عليه السلام بصورة عامة، فيقول:

«**أُوصِيكُمَا، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي، بِتَقْوَى اللهِ**»

فنحن أيضاً مخاطبون بهذه الوصية.

ثمّ يبدأ بالقسم الثاني من وصيته العامة فيعود من جديد ليؤكّد على أهمية التقوى مرةً أخرى، فالتقوى هي الكلام الأوّل والأخير لأمير المؤمنين عليه السلام.

وصيته عليه السلام بالنظم في الأمور

وبعد الوصية بالتقوى مجدداً يقول عليه السلام: «**وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ**».

فماذا يعني بنظم أمركم؟ هل يعني أنّ الأعمال التي تقومون بها في حياتكم اليومية يجب أن تكون منظمة ودقيقة؟

من المحتمل أن يكون هذا أحد معاني هذه العبارة، لكنّه لم يقل عليكم بنظم أموركم بل «**نَظْمِ أَمْرِكُمْ**»، إذن فظاهر هذه العبارة أنّ هناك أمراً مهماً يجب أن يتحقق وفقاً لضوابط ونظم معينة، فما هو ذلك الأمر المهم؟

يُفهم أنّ لهذا الأمر المهم قاسماً مشتركاً عند كل الناس، فيحتمل أن يكون معنى نظم الأمر هو عبارة عن إقامة الولاية والحكومة الإسلامية والنظام الإسلامي، يعني أيّها المسلمون ليكن تعاملكم مع مسألة الحكومة والنظام وفق ضوابط ونظم معينة ومحددة، لا يكن هناك انفلات في تعاملكم مع النظام. فبسبب هذا الانفلات وصلت الأمة الإسلامية إلى ما وصلت إليه من انحطاط وتشتت.

يُروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال ما معناه: «**إذا بايعت الأمة إماماً يرضى اللّه عنه فلا يجوز لأحد مخالفته**»، فلو أنّ الأمة الإسلامية عملت بمضمون هذه الرواية بعد بيعتها للإمام علي عليه السلام لما وقعت تلك الحروب المدمرة كحرب الجمل وصفين والنهروان.

وهذا (الإخلال والانفلات) هو ما يقوم به البعض من أجل مصالحه وإرضاءً لميوله النفسية، فينشر الرعب في البلاد ويثير القلاقل ويخلّ بالنظام العام ويقتل الناس الأبرياء هنا وهناك، وهذا هو البلاء العظيم الذي حذّر منه أمير المؤمنين عليه السلام ونهى عنه وأمر بخلافه[1].

---

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ٢١/ رمضان/ ١٤١٤ هـ.ق.

إنّ النظم من الموضوعات التي عندما يتعمّق الإنسان في معناه ومفهومه ومفعوله في الحياة يزداد إدراكاً لأهميته، فالنظم إنما يعني: وضع الشيء في محلّه، وإنّ الكون بما فيه من أرض وسماء ويمتد حوالينا نحن البشر إنما هو منظومة مقنَّنة، والقانون والنظم هو السائد على كافة مجريات الأحداث في الكون، والتحرّكات في العالم الذي نستشعره ونبصره والذي يحيط بنا، والإنسان بدوره جزء من هذا العالم المتميّز بالنظم، وإنّ الحياة الطبيعية للإنسان يسودها النظم أيضاً، فدوران الدم ونبضات القلب وانتفاخ الرئتين وسائر الحركات من فعل وانفعال يجري داخل جسم الإنسان تابعة بأجمعها للنظم، وإذا ما تكلل عمل الإنسان وفعله بالنظم إذ ذاك سيتوفّر التناسق بينه وبين العالم المحيط به، فالنظم يهب الإنسان فرصة استثمار كل شيء حق الاستثمار ولا يدع شيئاً يفوته، وإذا ما حصلت فوضى داخل جسم الإنسان فإن نتيجتها المرض أو ما يوصف بالمرض، وذات الأمر يطرأ في سلوكيات الإنسان سواء في حياته الفردية أو سلوكياته الاجتماعية. وعليه فإن للنظم أهميته.

إنّ دائرة النظم واسعة بطبيعة الحال، فهي تبدأ من الحياة الخاصة للإنسان داخل غرفته التي يحيا ويعمل فيها، حيث يتمّ الاهتمام بالنظم ـ فيما إذا كانت تتميّز بترتيبها أم لا ـ ومروراً بالتصرفات الفردية لنا في الوسط الوظيفي أو الدراسي، وانتهاء بالوسط الاجتماعي وتشكيلة المجتمع وبناء النظام الاجتماعي بما يعنيه من بُنية منبثقة عن نظام معيّن له فلسفته الخاصة به، وذلك بأجمعه يشمله «**وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ**» الذي صرَّح به أمير المؤمنين في هذا المقطع من وصيته.

وقبل أن يشير عليه السلام للنظم تحدّث عن التقوى فجاءت التقوى في البداية «**أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى الله، وَأَنْ لاَ تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا**» لكنه يردف بعد سطرين بالقول «**أُوصِيكُمَا، وَجَمِيعَ وَلَدِي بِتَقْوَى اللهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ**» وهنا تكررت التقوى من جديد؛ ولعل في ذلك إشارة إلى أنّ النظم المنشود في الحياة الفردية ونظام الحياة العامة والاجتماعية للإنسان هو النظم المستمد من التقوى والممزوج والمتجانس معها.

إذ هذه وصية شاملة لنا جميعاً أن نلتزم النظم والتخطيط على صعيد الحياة الفردية والعائلية، وكذلك الوظائف الدراسية والإدارية والأعمال التي نمارسها وسط المجتمع، وهذه بالأساس صيغ من النظم على الصعيد الفردي، وعلينا أيضاً التزام النظم والتخطيط على مستوى المجتمع كذلك.

فعلى كل امرئ وحيثما كان التقيّد بالنظام الاجتماعي؛ فذلك يمثّل أدباً عاماً بالنسبة لنا على صعيد المجتمع والجميع مشتركون في هذا الشأن.

إنّ احترام القوانين ومراعاة الأخوة والقناعة وعدم التعدي على حقوق الآخرين، واحترام الوقت ـ سواء وقت المرء أو وقت الآخرين ـ والالتزام بقوانين المرور والتجوّل، والقضايا المالية والتجارية وما شابه ذلك، كلها مصاديق للنظم.

ومن مصاديق النظم أيضاً التناسق بين ممارستنا داخل المجتمع وبين أفكارنا وقناعاتنا وشعاراتنا، فمن حالات الفوضى البالغة الخطورة أن تكون القواعد الفكرية والعقائدية والأمور التي يؤمن ويعتقد بها المجتمع شيئاً فيما لا تنسجم السلوكيات التي تتبلور على أساس هذه القواعد والمعتقدات وتشكّل قانوناً عاماً واجتماعياً مع تلك المتبنّيات والأفكار والقواعد؛ وهذا مما يخلق نوعاً من الازدواجية والنفاق وهو خطير جداً.

من الأمور السيئة التحدّث باسم الإسلام وترديده دون العمل بأسس الإسلام؛ المناداة بحقوق الإنسان كمبنىً وقاعدة فكرية دون الالتزام بحقوق الإنسان عملياً ـ وهو ما يمثّل اليوم إحدى البلايا الدواهي التي يعاني منها المجتمع البشري على الصعيد العالمي وللأسف ـ والتشدّق باسم التحرر دون احترام لحرية الآخرين، وترديد اسم القانون والدعوة للقانون دون التمسّك به على الصعيد العملي، وهي تعد من المصاديق البارزة والخطيرة للفوضى[١].

---

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٧/ رمضان/ ١٤٢٣هـ.ق.

وصيته عليه السلام بإصلاح ذات البين:

«وَصَلاَحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ»

يعني لتكن قلوبكم خالية من الضغائن، ولتكن كلمتكم واحدة ولا تتفرّقوا وتختلفوا، ولتكن علاقة بعضكم مع البعض أخوية وحسنة.

ثمّ يأتي عليه السلام بحديث للنبي صلى الله عليه وآله وسلم دعماً لوصيّته، وهذا يكشف عن اهتمامه البالغ بهذا الأمر لا لأنّه أكثر أهمّية من مسألة نظم الأمر، بل لأنّ مسألة (إصلاح ذات البين) معرّضة للضرر أكثر من مسألة نظم الأمر؛ لذلك فهو يُشفع ذلك بحديثٍ لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم تأكيداً على أهمّية هذا الأمر، يقول:

«فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ».

ليس أفضل من كل الصلوات والصيام بل أفضل من كلّ صلاة وصيام، فأنت عندما تريد أن تقوم بأداء صلاةٍ أو صيامٍ فلا بأس، لكن هناك عمل أفضل من هذه الصلاة وهذا الصيام، وهو السعي لإصلاح ذات البين. فعندما ترى تشتّتاً واختلافاً بين أبناء الأمة الإسلامية عليك أن تسعى لرفع هذه الفرقة والاختلاف، فإن عملك هذا أفضل من عامة الصلاة والصيام.

وصايا أخرى له عليه السلام

وبعد هذه الفقرات يبدأ عليه السلام بوصايا أخرى قصيرة وهادفة ومؤلمة فيقول:

وصيته عليه السلام بالأيتام

«اللهَ اللهَ فِي الأَيْتَامِ، فَلاَ تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلاَ يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ».

إيّاكم أن تنسوهم، أعينوهم بكل ما تستطيعون، إنّ هذا الإنسان العظيم العارف باللّه

وصاحب القلب العطوف ينظر إلى كلّ الأمور بعين الدقّة، فليست المسألة في نظره مسألة فردية وعاطفة عادية.

إنّ الذي فقد أباه هو إنسان فقد أهم حاجة في حياته وهو الاحتياج إلى الأب، فيجب السعي الحثيث لملء هذا الفراغ الذي حدث في حياته، طبعاً لا يمكن ملء هذا الفراغ، لكن يجب عليك أن ترعى هذا الطفل وهذا الصبي وذاك الشاب اليتيم لكي لا يصيبهم الضياع، يجب عليك أن توفّر لهم لقمة العيش حتّى لا يذوقوا ألم الجوع والحرمان.

لا تعطوهم يوماً وتمنعوهم يوماً، لابدّ للمجتمع من الاهتمام بشؤونهم المادّية، وإيّاكم أن يصيبهم الضياع على الرغم من حضوركم واطّلاعكم. ربما تكون معذوراً إذا كنت تجهل حالهم أو غائباً عنهم، ولكن إيّاك أن يُضيّع يتيم أو يُهمل وأنت حاضر ومطّلع، لا ينشغل كلّ واحدٍ منكم بأموره الخاصّة وتتركوا هذا اليتيم وحيداً يصارع مشاكل الحياة.

وصيته عليه السلام بالجيران

«وَاللهَ اللهَ فِي جِيرَانِكُمْ»

لا تستصغروا مسألة الجوار فأمرها مهمّ جداً، إنّ ذلك التلاحم الاجتماعي المتماسك الذي أقامه الإسلام طبقاً للفطرة السليمة قد ضاع وللأسف في منعطفات التمدن البعيدة عن الفطرة الإنسانية التي فُطر الناس عليها.

يوجد من الناس من يقيم في بيت سنوات طويلة وهو لا يعرف من جاره، وما يجري عليه؟ ولا يساعده في حاجاته ومشاكله وضروريات حياته!

ونحن إذا عملنا بهذه الفقرة من وصية أمير المؤمنين عليه السلام وقام كلّ واحدٍ منّا برعاية

جيرانه ليس من الناحية الاقتصادية والمالية التي هي مهمة في ذاتها فحسب بل من جميع النواحي الإنسانية، فسنرى مدى التآلف والمحبّة اللذين سيسودان العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الإسلامي، وسنرى كيف يُشفى المجتمع من أمراضه الاجتماعية المزمنة التي يعاني منها.

ثمّ يكمل الوصية بالجيران فيقول:

«فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ».

وصيته عليه السلام بالقرآن والعمل بمفاهيمه

«وَاللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ، لاَ يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ»

إيّاكم أن يسبقكم للعمل بمفاهيم القرآن من ليس له إيمان بها فيتقدّموا عليكم وتتأخّروا عنهم؛ لترككم العمل بتلك المفاهيم الإلهية.

وهذا عين ما وقع تماماً، فالشعوب المتقدّمة في العالم كان وصولها إلى هذا المستوى من التقدم بفضل الجدّية والدقة في العمل ومتابعته، والاهتمام بالوقت وبنوعية الإنتاج وخصال أخرى يحبّها اللّه سبحانه وتعالى، وليس عن طريق الفساد وشرب الخمور والظلم كما يتصوّر البعض.

وقد قلتُ كراراً: إنّ التقدّم العلمي لم يكن ليتحقق لولا امتلاك الدول الغربية التي أوجدته لبعض تلك الخصال الحميدة، وإلا لكان الدمار من نصيب تلك الدول نتيجةً لظلمها وتعسّفها.

إنّ هذه الخصال الحميدة هي التي حفظت تلك الشعوب التي تبنّتها من الانقراض، ولكنّنا تخلّينا وللأسف عن تلك الصفات والخصال فوصلنا إلى ما وصلنا إليه.

وإذا تحلّى عمّالنا وفلاّحونا وعلماؤنا وأساتذتنا وطلاّبنا وباقي طبقات المجتمع بتلك

السجايا والخصال الحميدة ستتحوّل البلاد إلى روضةٍ يدخل فيها الجميع بالنعيم، وهذه هي طريقة العمل بمفاهيم القرآن.

وعبارة: «**لاَ يَسْبِقْكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ**» لا تعني أنّ علياً لا يريد لأحدٍ أن يعمل بالقرآن، بل بالعكس فلو أنّ الناس جميعاً عملوا بما جاء به القرآن لكان في ذلك مسرّة كبيرة لعلي عليه السلام، ولكنّه يقول لا يسبقكم بالمفاهيم القرآنية من لا يؤمن بها فيؤدّي ذلك إلى تسلّطهم عليكم وتأخّركم عنهم بسبب عدم عملكم بما جاء به القرآن الكريم.

وصيته عليه السلام بالصلاة

«**وَاللهَ اللهَ فِي الصَّلاَةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ**»

«**وَاللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لاَ تُخْلُوهُ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا**»

لا تدعوا هذا البيت يخلّي، فإن بيت اللّه تعالى لو أُخلي وترك لا يمهلكم سبحانه وتعالى، أو لا يمكنكم العيش بعد ذلك أبداً، وقد فسّرت هذه العبارة بمعاني مختلفة.

وصيته عليه السلام بالجهاد في سبيل الله

«وَاللهَ اللهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ»

إيّاكم وترك الجهاد في سبيل اللّه بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم. إنّ الأمة الإسلامية كانت الأمة النموذجية في العالم طالما كانت قائمة بالجهاد في سبيل اللّه، ولكنّها أصيبت بالذلّ والهوان عندما تخلّت عن هذه الفريضة الإلهية.

وقد ذكر الكتّاب المسيحيون في إنجيلهم عن المسيح عليه السلام أنّه قال: «**إذا ضربك أحد على خدّك الأيمن فأدِرْ له خدّك الأيسر**»، يعنون بذلك إنّنا مسالمون ولا نعرف للحرب معنى، وشعارنا الرحمة والسلام، ولا يزالوا يردّدون هذا من دون حياء ويطعنون بالمسلمين؛ لأنّهم أهل الجهاد والحرب والسيف وسفك الدماء.

وقد كرّروا هذه الافتراءات إلى حدٍّ أصبح معه بعض المسلمين يخجل من طرح تلك المفاهيم الإسلامية، مما حدى ببعض العلماء والكتّاب المسلمين أن ينكروا وجود موضوع الجهاد في الإسلام، بل قالوا جهادنا هو دفاع فقط.

ماذا يعني هذا الكلام الهزيل؟ إنّ اللّه سبحانه يقول جاهدوا في سبيل اللّه، وهؤلاء يقولون لا يوجد عندنا جهاد وإنّما هناك دفاع، فاللّه تعالى يقول في قرآنه: ﴿**إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ**﴾[1]، ويقول: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ**﴾[2]، وهؤلاء يقولون إنّ الجهاد في سبيل اللّه ليس هو الجهاد الابتدائي، وإنّما الجهاد الدفاعي فقط!

إنّ هذه الأفكار نشأت على إثر الإعلام والتبليغ المسيحي الذي يكرّر دوماً أنّ الحرب

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.

وسفك الدماء هو شيء قبيح ولابدّ من الصلح والسلام، وقد صدّق المسلمون هذه الترهات فأصبحوا أذلاء جليسي بيوتهم بعد أن كانت راية العزّة ترفرف على رؤوسهم؛ لقيامهم بفريضة الجهاد في سبيل اللّه سبحانه وتعالى.

إنّ أولئك الذين كانوا يدعون إلى الصلح والسلام والرحمة، ويُشينون على المسلمين جهادهم في سبيل اللّه قاموا بقتل وذبح المسلمين وتشريدهم في شتّى بقاع الأرض، واليوم تشاهدون ما يقوم به هؤلاء في البوسنة والهرسك وما قاموا به من عملٍ شنيع في الحرم الإبراهيمي الشريف لمسجد خليل الرحمن في فلسطين المحتلة.

وإنّ أولئك الذين كانوا ينتقدون المسلمين سنين طويلة بأنّهم دعاة الحرب وسفك الدماء، قاموا منذ الحروب الصليبية وحتى اليوم بشنّ الحروب المدمّرة على المسلمين وارتكاب المجازر المروّعة بحقّهم، والتي لا مجال للخوض في تفاصيلها في هذا الوقت المحدود.

وحينما يقرأ الإنسان ما دُوِّن في التاريخ من وقائع وأحداث، فسيبكي دوماً لأجل المظالم التي ارتكبت، ومن أجل حالة النفاق التي يعيشها أولئك الذين يرفعون أصواتهم بالصلح والسلام وهم يخفون خناجرهم لغرسها في صدور الأبرياء.

نعم، يجب أن يكون الجهاد في إطاره الإسلامي الذي شرّعه اللّه تعالى وضمن الضوابط التي وضعت له في الشريعة، فلا يوجد في الجهاد ظلم ولا تعدٍّ على حقوق الآخرين، ولا حجّة لقتل الأبرياء أو القضاء على المسلمين.

إنّ الجهاد فريضة إلهية إذا أقيمت ستؤدّي إلى ارتفاع رؤوس المسلمين عالياً، ولهذا أكّد عليها أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته المباركة.

ثمّ يقول عليه السلام: «**وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ، لاَ تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ أَشْرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ**».

إذا اعتادت الأمة أن لا تقول للشرير إنّك شرير، فإنّها ستفتح الطريق أمام الأشرار

والمنحرفين لتولّي زمام أمورها، وعندها لا يُستجاب حتى دعاء الأخيار للخلاص من هؤلاء الأشرار الفاسقين.

هذه هي وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) والتي اشتملت على عشرين فقرة تناولت أهمّ القضايا التي اختارها وبيّنها للأمة.

وصيته (عليه السلام) في كيفية التعامل مع قاتله

ثمّ تعرّض بعد ذلك لأمر أساسي ومهم وهو مسألة الانتقام من قاتليه، فيقول: «**يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لاَ أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً، تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَلاَ لاَ تَقْتُلُنَّ بِي إِلاَّ قَاتِلِي انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، وَلاَ يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ**».

فأمير المؤمنين (عليه السلام) العارف باللّه صاحب القلب الإلهي الرؤوف كان يخاف من أن يهجم الناس على ذلك الرجل الخبيث ويقطّعوه إرباً إرباً ويمثّلوا به.

كانت تلك آخر وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام)، وإنّنا مخاطبون بها، فيجب علينا أخذها والعمل بمضامينها، ولا أدري كم عدد الساعات التي عاشها أمير المؤمنين بعد أن أنهى وصيّته؟

وقد أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يُغسّل بدنه الطاهر ويدفن ليلاً، ويبدو كأنّ هذه المسألة أصبحت سنّة عند أهل البيت (عليهم السلام)، فكما غُسِّلت فاطمة وكُفّنت ودُفنت ليلاً، فأمير المؤمنين أيضاً غُسّل وكُفّن ودُفن ليلاً؛ لأنّه لم يكن مُستبعد من أولئك الذين سبّوا علياً سنوات طويلة على منابر المسلمين أن يقوموا بنبش قبره (عليه السلام) إذا علموا موضعه، ويهينوا بدنه الطاهر، وقد كان أمير المؤمنين يعرف ذلك ببعد نظره[1].

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ٢١/ رمضان/ ١٤١٤ هـ.ق.

الفصل الرابع

شهادة الإمام

أمير المؤمنين عليه السلام

أشير هنا باقتضاب إلى ذكرى يوم الواحد والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة، وهو يوم استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، فكيف كان وضع الكوفة في مثل هذا اليوم.

أنتم تتذكرون تلك اللحظة التي عَلِمَ فيها أهالي طهران برحيل الإمام الخميني، ورأيتم كيف كان البكاء وكيف خَيّم الحزن على القلوب، مع فارق أنّ الإمام كان مريضاً لمدة من الزمن، وكان البعض يخشى نزول المكروه .

بينما كان أمير المؤمنين عليه السلام حتى قبل ساعة من ضربته يوقظ النائمين في المسجد، وصوت أذانه يدوي في أرجاء الكوفة، وكان الناس حتى الأمس وحتى البارحة يسمعون صوته الملكوتي، وفجأة تناهى إلى أسماعهم صوت هاتف يقول: «**تهدّمت والله أركان الهدى، قتل علي المرتضى**» وهكذا سمع أهالي الكوفة ومن بعدهم جميع العالم الإسلامي بشهادة أمير المؤمنين.

كان أمير المؤمنين قد أنبأ مرات ومرات بخبر شهادته، لعل جميع المقربين إليه كانوا يعلمون ذلك.

ففي زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حينما وقعت معركة الخندق وبرز فيها علي عليه السلام ـ كان شاباً له من العمر نيف وعشرون سنةـ لعمرو بن عبدود الذي كان من أبطال العرب، وله في قلوب قريش وغيرها هيبة ما بعدها هيبة، وظنوا أنه سيقضي على الرسول والمسلمين، وبارزه وقتله.

جُرِح عليه السلام في تلك المبارزة في جبهته وسال منها الدم، ولما رآه الرسول على تلك الحالة رقّ له قلبه، ومسح بمنديله الدم عن جبهته وأمر بتضميد جرحه، ثم أغرورقت عيناه بالدموع، وقال: «**أين أكون إذا خضبت هذه من هذه**» إشارة إلى اليوم الذي تخضب فيه محاسنه بدماء رأسه.

نقل محمد بن شهاب الزهري رواية جاء فيها: «**كان أمير المؤمنين يستبطئ قاتله**»، أي أنه كان يترقّب أن يأتي هذا الشقي ويفعل فعلته، كان يحصي حركة الزمن، بانتظار وقوع هذه الحادثة، ويقول: «**متى يكون إذا خضبت هذه من هذه**».

إذاً فهو كان يترقّب، والمقرّبون منه على علم بالأمر، إلاّ أنّ عظم الحادثة ـ مع أنّهم قد أخبروا عنها سلفاً ـ قد أذهل الجميع، فنقلوا الإمام إلى داره.

قرأت رواية في كتاب بحار الأنوار جاء فيها، إنه كان يغمى عليه بين حين وآخر، كانت ابنته أم كلثوم جالسة أمامه تبكي، فلما فتح عينه وقع عليها بصره، قال لها: «**لا تعزيني يا أم كلثوم، فإنك لو ترين ما أرى لم تبك، إنّ الملائكة من السماوات السبع بعضهم خلف بعض والنبيين يقولون: انطلق يا علي فما أمامك خير لك مما أنت فيه**»[(١)]، [(٢)].

لَمّا انهال السيف على رأس أمير المؤمنين عليه السلام وهو في محراب العبادة كانت العبارة التي سمعت منه وتناقلتها المصادر هي «**بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، فزت وربِّ الكعبة**»![(٣)] فتلك الليلة التي هي بمثابة العزاء والمصيبة بالنسبة للمسلمين جميعاً، تحوّلت إلى ليلة ظفر وسرور وفوز بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام الذي كان على موعد معها، ويبدو أنها كانت ليلة جمعة؛ ففي بعض الروايات كانت ليلة التاسع عشر ليلة جمعة، فيما تقول روايات أخرى: إنّ ليلة الحادي والعشرين كانت ليلة جمعة، وفي تلك الليلة أفطر عليه السلام عند أم كلثوم بالصورة التي سمعتم بها، حيث اقتصر إفطاره على الخبز والملح ـ وهذا يعني الإفطار بخبز لوحده في واقع الأمر ـ حيث رُفع اللبن وبقي الخبز، فأمضى عليه السلام تلك الليلة بالعبادة حتى الفجر حيث دخل المسجد، بعدها رفع صوته مؤذناً ونزل إلى محراب الصلاة، وإذا بالمنادي ينادي أثناء الصلاة: «**تهدمت والله أركان الهدى!**» ومن المؤكد أنّ الناس كانوا قد فهموا المعنى من «**تهدمت أركان الهدى**»، بَيْدَ أنّ المنادي سرعان ما

---

(١) في رحاب أئمة أهل البيت: ج: ٢ ، ص: ٢٥٥ .

(٢) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ٢١/ رمضان/ ١٤١٧هـ.ق.

(٣) بحار الأنوار، ج: ٤٢ ، ص: ٢٣٩.

أردف تلك العبارة بأخرى توضّح مفهومها إذ نادى: «**قتل علي المرتضى**»[١].

يقول لوط بن يحيى بن أبي مخنف: «**لما أحسّ الإمام بالضربة لم يتأوّه**»[٢] أي أنه لم يتأوَّه ولم يتألّم عندما نزلت الضربة على رأسه وشقّت جبهته وهو في المحراب، «**وصبر واحتسب، ووقع على وجهه وليس عنده أحد**» إذ لم تبدأ الصلاة بعد وكان المسجد مظلماً فيما كان الناس مشغولين بالنافلة أشتاتاً، وعليه لم يفهم أحد ماذا جرى بادئ الأمر، «**قائلاً: باسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله**»، فكانت أُولى العبارات التي تلفّظ بها بعد ضربته، هي تلك العبارات التي طرقت أسماعنا في حالات أُخرى، فبعد أن أُصيب سيد الشهداء عليه السلام ووقع على الأرض نُقلت عنه هذه العبارة: «**بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله**». فقد بذلوا ثمرة حياتهم في هذا الدرب.

ثم نُقلت عن أمير المؤمنين هذه العبارة إذ قال: «**فزت ورب الكعبة**» وجاء في رواية أُخرى أنه قال: «**لمثل هذا فليعمل العاملون**»، وهذا ما يبرهن على مدى اتصال هذه الروح الطاهرة المطهرة بعوالم الملكوت حتى في الوقت الذي لَمّا يزل عليه السلام على قيد الحياة في هذه الدنيا «**ثم صاح وقال: قتلني اللعين**» وبعد مناجاته تلك صاح عليه السلام كي ينتبه الناس ولا يدعو القاتل يهرب، فلما سمع الناس الضجّة أي سمعوا صوت أمير المؤمنين عليه السلام فزع إليه كل من كان في المسجد فتوجّه الجميع نحو محراب المسجد دون أن يعرفوا ماذا حصل وماذا عليهم أن يفعلوا ثم أحاطوا بأمير المؤمنين، وهو يشدّ رأسه بمأزره والدم يجري على وجهه ولحيته وقد خضبت بدمائه، فلما اجتمع الناس حوله وجدوه يشدّ جرحه بمئزرٍ له بالرغم من حالة الضعف وانفلاق هامته وأنّ لحيته التي كانت بيضاء قد تخضّبت بدمه وهو يقول:

---

(١) بحار الأنوار، ج: ٤٢ ، ص: ٢٨٢.

(٢) أنظر تاريخ الطبري، ج: ٤ ، ص: ١١٠.

«هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله» فلقد تحقق وعدهما[١].

بعد أن وقعت تلك الفاجعة الكبرى، سُمع هاتف غيبي يقول: «**تهدّمت والله أركان الهدى**».

كان أهل الكوفة ومن حولها ممن بلغهم الخبر في اضطراب دائم، حيث كان أمير المؤمنين محبوباً من قِبَل الصغير والكبير، وكان الاضطراب بادياً على بعض الأصحاب المقرّبين من الإمام، وفي الليلة التي سبقت استشهاد أمير المؤمنين إزدحم الناس حول داره، يريدون عيادته إلاّ أنّ حالة الإمام الصحية كانت قد ساءت ولم يعد بالإمكان عيادته، فخرج الإمام الحسن عليه السلام ـ على ما ينقل ـ واعتذر إليهم وأمرهم بالانصراف، فتفرّقوا إلاّ الأصبغ بن نباتة لم تطاوعه نفسه بالانصراف، حتى خرج الإمام الحسن عليه السلام بعد هنيئة فإذا به يرى الأصبغ لا يزال واقفاً، فقال له عليه السلام: أما سمعت ما قلته للناس؟ فقال: يا بن رسول الله لا طاقة لي على الانصراف، فأذن لي حتى أرى الإمام، فدخل الإمام الحسن عليه السلام ثم خرج وأذن له في الدخول.

يقول الأصبغ: فدخلت وإذا بالإمام أمير المؤمنين مسجّى على سرير المرض، وقد شُدَّ موضع جرحه بعصابة صفراء، فلم أستطع أن أُميِّز أيهما اشد صفرة، وجهه أم العصابة! وكان عليه السلام يغمى عليه حيناً، ويفيق حيناً آخر، وفي واحدة من إفاقاته أخذ بيدي وحدّثني ـ وهذا هو معنى قول الهاتف «**تهدمت والله أركان الهدى**» حيث أنّ الإمام لم يترك هداية الناس حتى وهو في هذه الحالة فلم يضُنّ على الأصبغ بالحديث، فنقل له حديثاً مطولاً، ثم أغمي عليه، ثم لم يره الأصبغ ولا غيره من أصحاب الإمام، حتى انتقل إلى جوار رحمة ربه في ليلة الحادي والعشرين وترك الدنيا والتاريخ متّشحين بثياب السواد[٢].

وعندما تناصف الليل أخذوا الجسد الطاهر ودفنوه ورجعوا، ولم يكن المشيّعون

---

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ١٩/ رمضان/ ١٤٢٤هـ.ق.

(٢) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ٢١/رمضان/ ١٤٢٥هـ.ق.

سوى أولاد علي ﵇ وبعض خواص أصحابه. وقد فكّرت في مظلومية الإمام ﵇ في ذلك التشييع المظلوم والدفن البعيد عن أنظار الناس وفي بيت الإمام المظلم، والأيام الصعبة التي مرّت على أهل البيت ﵈.

لا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العلي العظيم[١].

أللهم نقسم عليك بمحمد وآل محمد إلاّ ما صليت وترحمت وتحننت على أمير المؤمنين ﵇ وجعلتنا من أتباعه وشيعته الحقيقيين.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) كلمة الإمام الخامنئي، في تاريخ: ٢١/ رمضان/ ١٤١٤ هـ.ق.

الفهرس